وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة–

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: م أ ع/2014/185

فضاء المتخيل في الرحلة الجزائرية الحديثة

أبو القاسم سعد الله – أنموذجا –

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي **فرع:** أدب عربي **تخصص:** أدب جزائري

إعداد الطالبة:

- مريـم ببون

إشراف الدكتور:

سليمان بوراس

تاريخ المناقشة: 2016/05/15.

أمام لجنة المناقشة:

- **د/ بوراس سليمان مشرفا**
- **د/ مهدي عمار ممتحنا**
- **د/ بوديسة بولنوار رئيسا**

السنة الجامعية: 2015– 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . . ﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

أتقدم بخالص الشكر الجزيل و العرفان بالجميل و الاحترام و التقدير لمن غمرني بالفضل و اختصني بالنصح و تفضل علي بقبول الإشراف على رسالة الماستر أستاذي و معلمي الفاضل الأستاذ **"سليمان بوراس"** الذي سهل لي طريق العمل ولم يبخل عليا بنصائحه القيمة ، فوجهني حين الخطأ وشجعني حين الصواب ، فكان قبس الضياء في عتمة البحث وكان نعم الناصح ومنحني الثقة و غرس في نفسي قوة العزيمة ولم يدخر جهدا ولم يبخل عليا من وقته الثمين

أبقاه الله ذخرا لطلبة العلم و جعل ذلك في ميزان حسناته و أرضاه بما قسم له

كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم الأدب العربي

وفي الأخير نشكر كل طاقم مكتبة المنتدى

مُقَدِّمَةٌ

مقدمة :

عرف الإنسان الرحلة منذ عصور قديمة، ومارسها العرب في عهد الجاهلية، كفعل طبيعي أنجز لظروف وأسباب معيشية مختلفة، لكنها لم تأخذ طريقها إلى التدوين عندهم إلا مع حلول القرن الثالث للهجرة، وسارت وتطور التدوين متوازية مع ألوان الكتابة المختلفة، التاريخية والأدبية والدينية عبر مراحل خاصة، تحددت خلالها خصائص فن الرحلة، وعناصره التكوينية ومدارس التأليف فيه وبرزت أشكال أو إتجاهات وأساليب متنوعة، بتنوع الهويات الثقافية، أو الإجتماعية للرحالين الكتاب، إذا عنَى بها المؤرخ والجغرافي والأديب، ورجل السياسة والعالم وغيرهم كما إمتدت الكتابة فيها حتى عصرنا هذا، وتعددت مضامينها، بإستغلال الكثير من الحقول الداخلة في النسق الثقافي للمؤلف، وهو ما أدى بالكثير من الدارسين إلى النظر للرحلات على أنها مدونات ووثائق مفيدة من الجانب الجغرافي، أو التاريخي أو الاثنوغرافي.

فالرحلة من فنون الأدب العربي العريقة، كما أنها من الألوان التعبيرية الأولى التي تعتمد السرد بضمير المتكلم، وتعبر عن الأنا مع إنفتاحها على الآخر، وتقديمها صورة عنه منطبعة بأحاسيس الإعجاب أو الإستغراب أو الإعتزاز بالذات، وهي من الألوان القصصية التي توفر لقرائها المتعة والتشويق وتخبره بالكثير مما يجعل، إستنادا على ما يولده فعل السفر، والتنقل من أحداث متراتبة، ومشاهدات ورؤى ومتجددة بتجدد المكان، والزمان، وحالات نفس الرحالة.

ويرجع الإقبال على دراسة أدب الرحلة لقناعة الباحثين بأهميته في الفكر الإنساني المعاصر والذوق الفني الحديث، والمسألة في ذلك لاترجع لمنطلق الفهم الفعلي بأن أدب الرحلة صار الأقدر على إمتلاك آليات التعبير على مشاغل العصر من جهة، ومن جهة أخرى، الإقبال على قراءة أدب الرحلة يعود أساسا إلى طبيعة الذوق الحضاري السائد، فإذا كانت حصة الأسد والسيادة في عصور لسابقة للموروث الشعبي، بدافع قدرته على إحتواء خواطر وخلجات نفس الشاعر، والتعبير على واقع الحياة آنذاك طبقا لمقتضى

الحال، وبالرغم من إستمرار هذا الموروث الثقافي والفني المتميز، فإن حضور أدب الرحلة للعالم كله عامة والجزائر خاصة كان بدافع حاجة الإنسان إلى ذلك، لغرض الإستجابة لنوازع فنية تقتضيها ظروف العصر الحالي فمع تطور هذا النوع الأدبي أفرز عدة أنواع منها : أدب الرحلة الإجتماعية، وأدب الرحلة الواقعي، وأدب الرحلة الخيالية والواقعية في الفضاء المتخيل والتي نحن بصدد دراستها، ولعل من البواعث الخاصة التي حدت بي إلى إختيار موضوع "فضاء المتخيل في الرحلة الجزائرية الحديثة أبو القاسم سعد الله أنموذجا"، رغم الخصوصيات المميزة لكل منها، كما أن قلة الدراسات حول الرحلة عموما، والرحلة المغربية على وجه الخصوص التي عنيت بالأسلوب والبنية السردية من بين الأسباب الموضوعية التي حملتني على الخوض في هذا الموضوع من جانبه الفضائي والمكاني والزماني وكذلك الشخصيات التي يتغلغل فيهم السرد بإختلافاته ويساعد على تشكله، كتوجه جديد إذا ما قورن بها بحث فيه، إذ يتنوع الأسلوب بين السرد القصصي والحوار والوصف.

إذ أعرض في هذا البحث لموضوع بالرحلة وأصبوا إلى الوقوف على أحد الأسباب التي جعلت هذا اللون الأدبي متداولا بين القراء محاولة التأكيد على أنه ثمة رحلات فعلية جزائرية، ونلمس ذلك في العديد من النصوص السردية لرحالين جزائريين أسهموا بمؤلفات كثيرة يعجز البحث الواحد عن إستقصائها وتحليلها، بل تستدعي من الباحثين تكريس جهود متعددة، حتى توفى حقوقها، ومن هؤلاء الرحالين نجد أبا القاسم سعد الله الذي أخذناه كأنموذج في بحثنا هذا،، هذه الشخصية العظيمة التي يكن لها أغلب، إن لم أقل كل الجزائريين الإحترام والتقدير.

ومن هذا المنطلق جاء إختياري لرحلات هذه الشخصية العظيمة "رحلتي إلى المغرب"، "رحلتي إلى الجزيرة العربية"، لكشف النقاب عن الجوانب الأدبية في هذه الرحلتين ولقلة الدراسات التي عنيت بالرحلات الجزائرية عموما، وهذه الرحلات على وجه الخصوص، ومن المراجع التي إعتمدت عليها وأثارت الطريق أمامي لفهم البحث وتحليل الرحلتين: كتاب سميرة أنساعد الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، وكتاب عبد المالك

مرتاض في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، وكتاب أبي القاسم سعد الله "تجارب في الأدب والرحلة"، ومجلة فضاء المتخيل في الرحلة الجزائرية الحديثة، مطبوع ملتقى 2013 "الجامعة المسيلة".

وبما أن دراستنا تحمل طابعا تطبيقا، فقد كانت التساؤلات التي يطرحها البحث متماشية مع هذه السمة التطبيقية، ومن أبرز الأسئلة التي حاولنا الإجابة عنها :

- كيف تمظهرت المكونات السردية في رحلتي أبو القاسم سعد الله؟.
- كيف وظفت مكونات السرد من مكان وزمان وشخصية ؟
- هل الرحلة نص أدبي، وكيف كان إسهام المؤلفين في هذا اللون الأدبي؟

وعليه شرعت في تشكيل خطة لبحثي تتكون من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، أما المقدمة فقد تناولت فيها أهم نقاط البحث من خلال إبراز أهمية أدب الرحلات وتأكيد قيمة الرحلات عند الجزائريين، سواء أكانوا مؤلفين أم قراء.

وتتبع الفصل الأول : مفاهيم عدة وهي (الفضاء، المتخيل، الرحلة، أدب الرحلات)، كما عرجت فيه لمسار الرحلة الجزائرية قديما وحديثا معرفة من خلال ذلك بالأعلام المشاركين في هذا اللون الدبي، أو كان هذا الفصل تحت عنوان : مصطلحات ومفاهيم.

أما الفصل الثاني : الموسوم بـ : بنية المكان في أدب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله، وقد سلطت الضوء فيه على جمالية المكان، وإهتممت على النصوص بنوعين من المكان، مكان الرحلة الذي يحوي : (المنطلق والمعبرة، والمقصد)، والمكان التاريخي : الذي يرتبط زمنيا بماض من مقارنة بزمن الرحلة.

والفصل الثالث : بنية الزمان والشخصية، في أدب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله، وإهتممت بزمنين : زمن الرحلة الذي يحوي : الإنطلاق والمسير، والوصول، وزمن التأليف والذي بدوره يحوي : الإفتتاحية،والعرض والخاتمة فزمن الرحلة أو زمن النص أو زمن الرحل المدونة كما يصطلح عليه هو أساس الزمن الثاني، كما كشف هذا الفصل عن الشخصيات في هذه الرحلة "رحلتي إلى المغرب"، وصنف أبرزها وفق وظائفها،

ومساعداتها التي قدمتها للرحالة، وإنتهى البحث بخاتمة جمعت فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

وقد إعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي في دراسة هاتين الرحلتين :

ولأن بحثنا لايختلف عن أي بحث علمي تعترضه الصعاب فإنه قد واجهتنا جملة من الصعوبات العلمية، تكمن في كيفية جمع المادة العلمية، والمراجع التي تعيننا، كذلك صعوبة التحكم في المادة المعرفية وكيفية تطبيق مكونات السرد وآلياته على الرحلتين.

ولايفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إثراء بحثنا، وإن كانت هناك كلمات شكر فهي خاصة للاستاذ الكريم "سليمان بوراس"، لفتحه لنا مجال البحث ومساعداته ونصائحه وتوجيهاته القيمة، كما لا أنسى فضله علي، فكان بمثابة الوالد، فحفظك الله ورعاك، ولك كل الإحترام والتقدير والحمد لله على توفيقه ونسأله أن يوفقنا ما فيه الخير.

الفصل الأول

مفاهيم ومصطلحات

1- مفهوم الفضاء .

2- مفهوم المتخيل.

3- مفهوم الرحلة.

4- مفهوم أدب الرحلة.

5- أدب الرحلة الجزائري قديما .

6- أدب الرحلة الجزائري في العصر الحديث.

7- الرحالة الجزائريون ورحلاتهم.

8- نبذة عن أبو القاسم سعد الله.

1- مفهوم الفضاء :

إن الفعل الرحلي يتم في المكان مع توفر عامل الزمن كمحرك لأحداثه، فهو بعد يحيط بالإنسان إلى جانب الفضاء espace وهما متعالقان يدوران حول معان مشتركة أحيانا ومختلفة أحيانا أخرى يشكلان الوعاء الذي يتم فيه الانتقال، إلا أن "الفضاء يكون جاريا في الفراغ في حين أن المكان يدل على الحيز الجغرافي وحده"[1]، وهما يشكلان ثنائية الرحلة وثنائية المرحل اليهم، كبعدين مختلفين ومتفقين في الوقت نفسه، إذ يشكلان صورة ذاتية للرحالة ومكونا أساسيا لثقافته.

أ- لغة :

لفظة فضاء تعني : "المكان الواسع من الأرض، والفضاء الخالي الفارغ من الأرض الساحة وما اتسع من الأرض واستوى".[2]

أما لفظة مكان جاء من : "مكن : موضع لكينونة الشيء، المكان : الموضع"[3]، ويعرفه محمد جبريل بالعودة إلى الجذور اللغوية قائلا: "المكان من : م.ك.ن بمعنى امتلاك الشيء والتملك فيه".[4]

ومنه يتبين لنا أن اللفظتين (فضاء/مكان) فيهما من الإختلاف والترادف ما يحمل على صعوبة التحديد، تشملان معاني الإتساع واللامحدود سواء على المستوى المادي أو المجرد، الموضع يتضمن الإتساع، الخلاء يتضمن الفراغ، كذلك تعنيان جزء من كل أي (بقعة، موضع، محل) فالفضاء يشمل كل ما يحيط بنا من فراغ مجرد، والمكان بحضور أي أنه موجود بالفعل.

---

1 عبد الملك مرتاض ، نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد،دط،المجلس الوطني للثقافةو الفنون و الاداب،عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر 199،ص04.

2 ابن منظورل، لسان العرب، ط3، دار صادر، م15، بيروت، 1994، ص ص 157-158.

3 المرجع نفسه، م13، ص 414.

4 محمد جبريل، مصدر المكان، دط، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2000، ص 09.

ب- اصطلاحا :

إن المدلول : فضاء، اشتق من "ESPASE بـ SPACE، التي جاءت من الكلمة اللاتينية SPATUM، والتي تعني الامتداد واللامحدود، الذي يحول كل الإمتدادات الجزئية، فهي كلمة غير موجودة عند الإغريق إلا في حدود الإشارة، إلى الملموس والمحسوس، ولم تظهر لديهم كلمة تدل عليه إلا فيها عرفوه بـ TOPOS التي تعني موقع". [1]

إن المكان أكثر التصاقا بالحياة الإنسانية من حيث خبرتها وإدراكها، ذلك لأن البشر لجأو إليه، "في تشكيل تصوراتهم المادية وغير المادية للعالم على حد سواء فالقرب والبعد الارتفاع والانخفاض كلها علاقات مألوفة تربط الإنسان ربطا بدائيا بالمحيط الذي يعيش فيه"[2]، فالفضاء كعالم شاسع منظم "تجتمع فيه القوانين، وتنتظم فيه الكائنات والأشياء بقدر ما يتعامل الإنسان مع الزمن"[3]، ولايكون تفاعل الإنسان مع الزمن وفق هذا النظام إلا من خلال المكان/الفضاء الذي تنتظم فيه الموجودات.

ج- أنواعها :

1- **فضاءات مفتوحة** : وهي فضاءات مفتوحة داخل المكان، الذي يتحدث عنه النص الرحلي منحصرة في الشوارع والساحات...

1-1- فضاء العادة واللقاء والمعاملات :

حيث يطلق عليه بالمكان العام الذي لايخضع امتلاكه لأحد، ويشترك في امتلاكه الناس جميعا إذ تكون عمومية، حيث "يتعين أن تكون معروفة باسم ومنها ما يكون له تاريخ ووقائع معروفة تبلغ أحيانا درجة الأسطورية"[4].

---

1 أكرم اليوسف، الفضاء المسرحي، دراسة سيميائية،دط،دار المشرق،مغرب،دمشق،2000،ص25.

2 جماليات المكان، مجموعة من الباحثين، دط، قرطبة، عيون المقالات، الدار البيضاء، د ت، ص 59.

3 زوزو نصيرة، اشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مقال، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات، قسم أدب عربي،بسكرة، جانفي، 2010، ص03.

4 قرطي خليفة، المدينة في الرواية الجزائرية العربية، من 1973-1992، رسالة ماجيستر، اشراف عبد القادر هني، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1995، ص 191.

وعليه يكون هناك نقل واقعي ومعيش للأحداث والأماكن بأسلوب فني فيصبح بذلك المشهد الوصفي الواقعي مساويا للمشهد الوصفي الفني مع فارق بسيط ألا وهو أن هذا المشهد الفني ذي صبغة انفعالية نابعة من المشهد الواقعي الذي يعيشه السارد أو الكاتب.

1-2- فضاءات جماعية (الوظائف الحيوية) :

وهي تشمل المباني والقصور من خلال إقامة الصروح والعمارات وبالتالي السعي وراء فضاء شبه مغلق.

فإذا أخذنا مثلا المدينة كمكان فهي تصنف من خلال الوظائف التي تقدمها مرافقها ومواقعها وكل ذلك يكون خاضعا لعوامل عديدة اجتماعية، ثقافية، تاريخية...

"فالعمران مظهر من المظاهر التي تبرز ثقافة أهل المدينة وذوقهم العام الذي يكون في الغالب مشتركا..."[1].

1-3- فضاءات نفعية طبيعية :

تشمل البحر والنهر والجزر، ولقد ظل البحر دوما يشكل مساحة من الأرض، يضطلع على أدوار مختلفة، شكلت لدى الإنسان وولدت فيه الدهشة والفضول والخوف.

2- فضاءات مغلقة :

إذا نظرنا إلى هذا المصطلح قد يبدو لنا غريبا أو غير مفهوم (فضاء مغلق) إلا أن هذا الطرح تتحكم فيه زاوية النظر، فما نراه فضاء مغلقا كالبيت والمسجد يراه غيرنا مفتوحا وبذلك يصبح الفضاء العادي أليفا ومرغوبا لقوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33)﴾[2]، إن المكان في دلالته يكتسب وجودا متميزا، يحمل أبعاد هندسية، ذات وظائف يقوم بها فالإنسان مرتبط ارتباطا وطيدا بالفضاءات التي يقوم فيها بوظائف مختلفة، كالبيت مثلا فهو "مكان الألفة ومركز لتكييف الخيال وعندما نبتعد عنه نظل دائما نستعيد ذكراه ونسقط

1 قرطي خليفة، المدينة في الرواية الجزائرية العربية، من 1973-1992، ص 194.

2 سورة يوسف، الآية 33.

على كثير من مظاهر الحياة من جوانبها المادية ذلك الإحساس بالحماية والأمن الذين يوفرهما لنا البيت"[1].

2-1- فضاءات للعبادة :

وتشمل المساجد والجوامع، إذ أن السارد أو الرحالة وهو يذكر المساجد ودور العبادة يتوقف عند مساجد ذات دلالات دينية ورمزية لها علاقة بالأحداث التاريخية سواء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو العهود القديمة.

2-2- فضاءات زيارية :

وهي تشمل الزوايا والأضرحة، والقبور والأماكن الشريفة والمقدسة.

2- مفهوم المتخيل :

أ- لغة :

يتقاطع مفهوم المتخيل (IMAGINAIRE) مع مصطلحات ومفاهيم أخرى من نفس المصدر كالخيال، التخييل، المخيال...، إلا أن هذا الاختلاف النسبي ليس في حقيقته إلا اختلاف في الصيغ الصرفية، غير أنها تشترك جميعها في الجذر اللغوي: "خيل"[2]، وقد ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة خيل مايلي: "خيل" : خال الشيء يخال خيلا وخِيلة وخيْلةً وخالاً وخيلاَ وخيْلاناً ومخالةً ومخيلةً وخيْلولة : ظنّهُ، وفي المثل: من المثل: من يسمع يَخَلْ أي يظن... وفي الحديث : ما أخالك سرقت أي ما أظنك، والمخيلة موضع الخيل، وهو الظن كالمظنة، وهي السحابة الخلفية بالمطر، والخال : البرق، والخال : الرجل السمح يشبّه بالغيم حين يبرق والخال والخيل والخيْلاء والخيلاَء، والأخْيُل والخيلة والمخيلة : كله، الكبر[3]، وعليه فما يمكننا استخلاصه من التعريفات سابقة الذكر أن المتخيل مرتبط بالظن هذا يحيلنا إلى أن كل كلام أو خطاب فيه تخييل يعني أنه ليس واقعيا.

---

1 جماليات المكان، ترجمة غالب هالسا ،ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص42.

2 ابن منظور، لسان العرب، ط3، م3، دار صادر، بيروت، 1994، ص 1304.

3 المرجع نفسه، ص 1305.

واستقراء ابن منظور للفظة "متخيل" آت من استحضاره للقرآن الكريم، إذ أن قراءة ابن منظور لاتخرج عما جاء في القرآن الكريم، فقد وردت لفظة "خيل"، في القرآن الكريم، وذلك في قوله عز وجل : (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66))[1].

وهذا يوحي إلى ارتباط فعل التخيل بالفعل السحري، الذي يعمل فيه فعل التأثير والتوهيم في الإنسان الواقع عليه، وعن ذلك يقول ابن عربي :

"أي تخيلاتهم ووهمياتهم...في التركيب والبلاغة وحسن التقرير، وتمشية المغالطة والسفسطة، وهيئة تركيب القياس الجدلي كأنها تسعى أي : تمشي عن غلبة الجهال ودولة الضلال"[2].

ب- إصطلاحا :

هناك منظومة من المعارف التي قاربت المتخيل، ومنها.

1- دلالة المتخيل في الثقافة الإسلامية :

لقد انتجت الثقافة الإسلامية في إطار التقريب النص القرآني من متلقيه جملة من النصوص والتي استلهمت الأجواء القرآنية، لبناء مخيال مواز لما جاء في القرآن.

وبهذا فقد ساهم القرآن إلى جانب الشعر العربي في ارساء أسس اسلامية لبناء نظرية للتخيل نجدها منبثقة في كتابات اللغويين والنقاد والمفسرين والفلاسفة والمتصوفة، فالثقافة العربية الإسلامية المحافظة وقفت من النثر موقفا واضحا أمام وجود النص القرآني باعتباره ممثلا لقمة النثر العربي، وباعتباره الكلام الأصلي الصحيح.

فقد تقبل الفلاسفة المسلمون مبدأ التعارض بين العقل والتخيل، وزاد من حدة احساسهم بهذا التعارض فهمهم الخاص لطبيعة المعرفة الإنسانية[3].

---

1 سورة الشعراء، الآية65 -66.

2 المصطفى مويقن، بنية المتخيل في نص ألف ليلة، ط1، دار الحور للنشر والتوزيع، سوريا، 2005، ص 83.

3 المرجع نفسه، ص 70.

و"ابن سينا" يقيم علاقة بين التخييل وإثارة التعجب، وهذه العلاقة تعني أن أخيلة الشعر تثير في المتلقي إعجابا بالصور التي تبدعها مخيلة الشاعر من المعطى الحسي وعليه فإن ابن سينا يضع التخييل والانفعال في مساق واحد، فالتخييل من شأنه أن ينفعل له المتلقي لأن الانفعال يتجلى باعتباره علاقة عينية معينة لكيانها النفسي بالعالم، وليست هذه العلاقة رابطة عمياء بين الأنا والكون، بل في بناء منظم قابل للوصف[1].

2- دلالة المتخيل عند البلاغيين العرب :

اختلفت دلالات المتخيل عند البلاغيين العرب، فنجد "عبد القاهر الجرجاني"، مثلا يقدم تعريفا للتخييل بقوله : "فهو الذي لايمكن أن يقال أنه صدق، وأن ما أثبته ثابت وما نفاه منفي، وهو مفتن المذاهب، كثير المسالك، لايكاد يحصر إلا تقريبا، ولا يحاط به تقسيما وتبويبا، ثم أنه يجيء طبقات، ويأتي على درجات، فمنه ما يجيء مصنوعا قد تلطّف فيه وأستعين عليه بالرفق والحذق، حتى أعطي شبها من الحق وغشي رونقا من الصدق، باحتجاج تمحّل، وقياس تصنّع فيه وتعمّل"[2].

فمن هذا يتبين أن الجرجاني يقر بغموض مفهوم المتخيل، وهو يقدم حدا للتخييل من حيث وجوده وعلاقته بالحقيقة، وقد بنى "عبد القاهر الجرجاني"، المتمثل لبعض من أوجه الثقافة اليونانية التخيل على أساس التشبيه، إذ التشبيه علّة الفعل التخييلي لقيامه على البرهان بالخلق"[3]، فالتخييل نسيان للتشبيه والاستعارة، بما لا يدع طريقا لتحصيلها مع ادعاء المطابقة و الصحة في القول غير ان المسافة التي تفصل التخييل عن الحقيقة (حقيقة ماوضع له الكلام عادة) غير ثابتة، فلكل فعل تخييلي على حدة موقعه الخاص به، ولايمكن قياسه على فعل آخر"[4].

---

1 آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص ص 23-24.

2 عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2007، ص ص 193-194.

3 المصطفى المويقن، المرجع السابق، ص 94.

4 العربي الذهبي، شعريات المتخيل، اقتراب ظاهرتي، دط، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2000، ص 37.

3- دلالة المتخيل في الفكر الغربي :

يجمع مؤرخو نظريات الخيال المتعاقبة في الفكر الغربي على أن مصطلح "الخيال" هو أحد المصطلحات التي انتقلت من مجال الفلسفة إلى مجال الأدب.

قرن "أرسطو" حركة التخييل بحركة الشهوات والغرائز، حيث كان يرى أن قوة التخيل يمكن أن تؤدي بالإنسان – إن لم يضبطها – إلى القيام بأفعال تتعارض مع العقل وأحكامه كل التعارضَ، فميز بين المخيلة والإعتقاد، ذلك أن المخيلة ليست الفكرة وليست الإعتقاد، كما يرفض قول أفلاطون القائل بأن المخيلة مركبة من الإحساس والإعتقاد أو الظن"[1].

في حين "كانط" اعتبر الخيال ابداعا جوهريا، فهو يميز بين خيال معيد للانتاج وخيال منتج، إذ هو : "القدرة على تمثل الشيء في الحدس حتى في غيابه، إلا أنه وبما أن كل حدس حسي، فالخيال بحكم شرطه الذاتي الذي وحده يسمح باعطاء مفاهيم الفكر حدسا يقابلها وينتمي إلى الإحساس، لكنه مع ذلك وبما أن تركيبه يقوم على وظيفة تلقائية، وهي محددة وليست كذلك، لأنها تستطيع مثل الحدس أن تحدد الإحساس قبليا بالنسبة لشكله حسب وحدة الإدراك، ويعتبر الخيال ضمن هذا الحد قدرة على تحديد الإحساس قبليا"[2].

4- دلالة المتخيل عند الصوفية :

لمحاولة معرفة دلالات المتخيل عند الصوفية نتطرق إلى ما يعرف بـ : نظرية الخيال عند ابن عربي ذلك أن ابن عربي رفع الخيال إلى مرتبة العلم، "وهو حسن باطن بين المعقول والمحسوس، وإذا كان ابن عربي لايضع المتخيل في طرف مقابل للعقل، فذلك من أجل التأكيد على مجموع الوظائف التي يقوم بها، وهو إلى الإطلاق أقرب منه إلى ما يحدد به العقل أو المحسوس، لذلك نجد المتصوفة قد كشفوا من خلاله عن صومر التجلي الالهي، الذي لا يتجلى بصورة واحدة مرتين، فكل تجل يعطي خلقا جديدا،

1 المصطفى المويقن، بنية المتخيل في نص ألف ليلة وليلة، ص 103.

2 المرجع نفسه، ص 103.

ويذهب بخلق، وإن المتجلي يتلقب في الصور ويتقلب في الأشكال، وهذا هو تحول الحق في الصور عند التجلي"[1].

من خلال هذا الفهم أن نظرية الخيال الإبداعي عند ابن عربي تنشط بفعالية إلى الإندماج والتوحيد بين العلو المتجلي والصورة التي تجلى فيها، إذ يضع الروحي والمادي والمرئي واللامرئي في تجانس وانسجام، فهو بهذا يدعم دفع أي تعارض يمكن أن يقام بين المتخيل والعقل.

والمتخيل يقتات على الخيال لكنه لايبقى كلا عليه، بل يصنع لكيانه وجودا مستقلا ومنظومة من العناصر المتداخلة مشكلة بذلك بنية متمايزة عن باقي البنيات الأخرى : التاريخية، والإجتماعية، والإقتصادية...[2].

وإذا ربطنا هذه المفاهيم بالرحلة التي هي أساس بحثنا فيمكننا القول أن "الرحلة الخيالية هي الانتقال المتخيل الذي يقوم به الأديب عبر الحلم أو الخيال إلى عالم بعيد عن عالمه الواقعي، ليطرح في هذا العالم رؤاه وآلامه وأحلامه التي لم تتحقق في دنيا الواقع"[3].

وهذا يدل على أن الطرح المقدم من طرف الأديب إنما هو خطاب، يخاطب به القراء متحدثا عن الواقع لكن بأسلوب أشد حبكا وتأثيرا من النقل الواقعي للأحداث التي لاتخييل فيها لذلك "ينزل خطاب المتخيل في منطقة التخوم الفاصلة/ الواصلة بين الواقعي والخيالي، فينشأ في منطقة حرة ذات مكوناتها بعضها في بعض، وكونت تشكيلا جديدا متنوع العناصر، ولطالما نظر إلى التخيلات التاريخية على أنها منشطرة بين طبيعتين كبيرتين من صيغ التعبير، الموضوعية الذاتية، فهي نصوص أغبر حبك موادها

1 آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، ص 20.

2 منير مهادي، "المتخيل و الهوية (مساءلة نقدية)، فضاء المتخيل في الرحلات الجزائرية في العصر الحديث، ع1، 2014، جامعة المسيلة، 10-11 ديسمبر 2013، ص 45.

3 محمد الصالح سليمان، الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث 1999 دراسة، دط، اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص 9.

التاريخية فامتثلت لشروط الخطاب الأدبي، وانفصلت عن سياقاتها الحقيقية، ثم اندرجت في سياقات مجازية"[1].

3- مفهوم الرحلة :

تعد الرحلة شكلا من أشكال البحث عن المجهول ومحاولة الاستكشاف لذلك "خلق الله الإنسان محبا للحركة والتنقل، وآمده بالعقل الذي يدعوه لذلك، والجسم القوي الرشيق الذي يعينه على الانتقال من موضع لآخر، بحثا في البداية عن طعامه وشرابه، هربا من القوى المعادية"[2].

أ- الرحلة لغة :

تعني لفظة "رحلة": "السير، الترحال، الجهة التي يقصدها الرجل، وقيل: السفرة الواحدة"[3]، يقال : مضى القوم من المكان : أي عبروا وانتقلوا وكلمة رحلة "مصدر اشتق من الفعل رحل ومنه الارتحال بضم الوجه الذي تقصده السفرية الواحدة، يقال راحله، أي عاونه على راحلته أي استرحله، سأله أن يرحل له، ومنها هذا رحل الرجل، أي منزله ومأواه فهو من هذا لأن ذلك يقال في السفر لأسبابه التي إذا سافرت كانت معه يرتحل بها عند النزول وهو الأصل"[4]، وتطلق كذلك على "الدابة إذا سمنت : أرحلت بعد هزال، فأطاقت الرحلة"[5].

يتجلى لنا من خلال ما سبق ذكره أن لفظة "رحل" حظيت بمقومات دلالية عدة، إلا أن جل معانيها المختلفة تنصب حول السير والانتقال والترحال إلى المقصد المراد السفر إليه،

---

1 جميلة روباش، "الواقعي والمتخيل في رواية الأمير لواسيني الأعرج"، حوليات الآداب واللغات، ع4، جامعة المسيلة أكتوبر ،2014، ص 203.

2 فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، مدينة نصر يوليو 2002، ص 17.

3 ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، مادة رحل بيروت، 1990، ص 279.

4 الفيروز أبادي محمد الدين بن محمد بن يعقوب، المحيط، ط3، دار الجيل، ج3، بيروت، د ت، ص 309.

5 أبو الحسن أحمد ابن فارس الرازي، مقاييس اللغة ،تحقيق عبد السلام بن هارون، دط، دار الجيل، م3، بيروت، د ت، ص 497.

فالشخص الذي يقوم بالرحلة هو بطبيعة الحال سيترك وطنه وبلده الأصلي وعن اكراه أو رغبة، وهنا يمكن السر في الترحال.

إذا أردنا مقارنة اللفظة بمقابلها الأجنبي فنلاحظ أن سفر أو رحلة تحملان نفس المعنى voyage والفعل منها : "voyager" أي سافر أو رحل، والفاعل : "voyageur"[1].

كما لايفوتنا أن الإسلام حث على الرحلة أو شجع عليها كونها تعود عليهم بمنافع في حياتهم العلمية، العلمية والدينية، وقد أخبرنا القرآن الكريم، عن كثير من الأنبياء الذين اعتنوا بالرحلة والتي ارتبطت لديهم بقضايا التربية والتعليم، والجهاد، والدعوة إلى الله، ومن هؤلاء الأنبياء الذين ذكر الله أسفارهم في القرآن : ابراهيم، واسماعيل، ولوط، واسحاق، ويعقوب، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان، وعيسى، ومحمد عليهم صلوات الله عليهم وسلامه.

وتبدو عناية ديننا الحنيف بالرحلة، من خلال وجودها ذكرها لفظا أو معنى مرات عدة في القرآن الكريم والحديث الشريف ونذكر منها قوله تعالى : {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)}[2].

كما جاءت لفظة "رحل" في القرآن، بمعنى البعير، وهي مرادفة للراحلة في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (70)﴾[3].

1 Larousse : le dictionnaire de français omega international sarl spéciale algérie, 2001, "voyager", p453.

2 سورة قريش.

3 سورة يوسف، الاية 70.

ب- اصطلاحا :

لايختلف كثيرا مفهوم الرحلة اصطلاحا عن مفهومها لغة إذ يشتركان في صفة الارتحال والحركة والتنقل إلا أننا نلمس من خلال عرض أقوال بعض الأعلام الإشارة إلى الفوائد التي يجنيها الإنسان من وراء الرحلة، مثلما نجده في قول أبي الحسن علي المسعودي، "ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمي إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار، ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار، واستخراج كل دقيق من معدنه، وإثارة كل نفيس من مكمنه"[1].

وهذا القول يوضح ضرورة أخذ العلم، والمعرفة والأخبار من منابعها الأصلية والوصول إلى الحقيقة بالمشاهدة الفعلية وعدم الإكتفاء بالقراءة وسماع الأخبار.

ويؤكد عبد الرحمان بن خلدون أهمية الرحلات في زيادة معارف المتعلم وإثرائها وتنميتها فيقول: "الرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[2].

والرحلة أيضا هي "لون من التأليف الذي يجمع بين الدافع العميق والتامل الدقيق في رصد المشاهدات والظواهر بأناة دقيقة والبحث عن الأسباب والنتائج ببصيرة واعية"[3].

إن الرحلة بهذا المفهوم ذات منطلق ذاتي ينطلق من ذات الشخص أو الرحالة من خلال الدافع الداخلي العميق يأخذ به إلى الرحلة أو بالأحرى يجعله يفكر في السفر ومشاهدة الظواهر والاستكشاف بذاته ويبحث بكل دقة محاولا في ذلك الوصول إلى النتائج المتوخاة.

---

1 أبو الحسن على المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق سعيد محمد اللخام، دط، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص 20.

2 عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ص 560.

3 محمد بن عثمان المكناسي : الاكسير في فكاك الأسير، تح : محمد علي الفاسي، دط، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص 01.

ويرى الشيخ حسين فهيم في الرحلة، فرصة لمشاهدة عجائب الدنيا، ويراها عنصرا أساسيا لتجارب الإنسان في حياته فيقول : "السفر مرآة الأعاجيب وقسطاس التجاريب"[1].

إن "الرحلة قد ساعدت على اكتشاف موطن الانسان أي كوكبه الأرضي، كما أدت بهذا الإنسان أن يدرك مدى انتشاره في بقاعها، وأن البشر سلكوا من حي مختلفة، وتعددت ألسنتهم إلى جانب تنوع طرائق حياتهم"[2].

ج- دواعي الرحلة وأنواعها :

1- دواعي الرحلة :

الدوافع اضلداخلية وراء انتقال الرحالين وسفرهم ينقسم إلى دوافع مباشرة وغير مباشرة.

1-1- الدوافع غير المباشرة :

الاسلام شجع معتنقيه على الرحلة في آيات عدة ولأغراض شتى، ومنها حثه تعالى الإنسان على طلب العلم، لقوله تعالى : (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122))[3].

وأيضا أباح للمضلومين أن يهاجرو ولايرضخو للذل والهوان لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[4].

أما الحج فجعله فرضا بشرط الإستطاعة لقوله تعالى : (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27))[5].

وإذا تأملنا هذه الآيات السابقة الذكر نجد فيها الأمر والحث على الرحلة والسير والانتقال، لذلك كان المسلمون يتسابقون أو بالأحرى يحاولون تلبية أوامر الله وما دعاهم إليه لأنهم على يقين أن كل ما جاء به عز وجل فيه خير لهم، فكانوا يذهبون لأداء

1 حسين محمد فهيم : أدب الرحلات، دط، سلسلة عالم المعرفة، رقم 138، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص 19.

2 المرجع نفسه ، ص 11.

3 سورة التوبة، الآية 122.

4 سورة النساء، الآية 97.

5 سورة الحج، الآية 27.

فريضة الحج، وفي طريقهم يغتنمون الفرصة فيزورون مراكز الثقافة الاسلامية المتواجدة في طريقهم، فيفيدون ويستفيدون.

1-2- الدوافع المباشرة (الذاتية) :

ترتبط الدوافع الذاتية بالدوافع العامة، التي سيمتد الفرد منها مبررات لرحلته، وضرورة الفرد في رحيله تكمن فيها ارتبط بالذات وحاجاتها، أي ذات الرحالة وميولاته والأسباب المباشرة للرحلة تكمن في :

1-2-1- الباعث الروحي :

يتجلى الباعث الروحي في الرحلات الحجازية من خلال أشعار الشوق والحنين إلى زيارة رب العالمين كما قال ابن عمار : "لما دعتني الأشواق النافقة الأشواق، إلى مشاهد الآثار والأخذ من الراحة بالتأثر...ليست داعيها وأعطيت كريمة النفس ساعيها، علما مني أن ليس يظفر بمراد من لايتابع الإصدار للايراد... ولما انبرى هذا العزم وانبرم، والتظى لاعج الشوق وانضرم، وباح الوجد بالسر المكتوم... شرعت إذ ذاك في المقصود"[1].

1-2-2- الباعث العلمي :

منذ العهود المبكرة ارتحل المغاربة إلى المشرق لأهداف تعليمية، فكان طالب العلم في المغرب يتم تعلمه في بلاده، ثم سافر ليتم تعليمه، ويجالس العلماء فيسعى بذلك إلى الأخذ منهم، يقول ابن خلدون : "...الرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال..."[2].

1 أحمد بن عمار، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، دط، مطبعة فونتانه، الجزائر، 1320هـ-1920م، ص 03.

2 ابن خلدون، المقدمة، ص 541.

1-2-3 الباعث السياسي :

في هذه الرحلات أنواع منها : الإدارية، السفارية، والأمنية.

فالإدارية : هي التي يقوم بها الرحالة بطلب من الحاكم (حاكم الدولة) لمصالح الدولة الادارية.

أما السفارية : كانت هذه الرحلات وليدة "نشوء الدول التي كانت ترسل مندوبين رسميين نيابة عنها، من أجل التفاوض فيما بينها، وكان هذا التفاوض يطول مجالات شتى..."[1].

أما الأمنية : مثل هذه السفرات كانت كثيرة بين الخلافة الإسلامية والدول المجاورة ومن هذه الرحلات، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، لمحمد بن عبد الوهاب الغساني يقول في مقدمته: "وكنت ممن أمن الله لخدمة بابه، وتفضل عليه بالانحياز لجنابه، وجهني آدام الله علاه لبلاد الروم، لآتيه بمن هناك من أسارى المسلمين، وأبحث في الخزائن الأندلسية عما أبقاه المسلمون هنالك، من كتب الأحكام ليكون لي معه دام مجده كفل من الثواب"[2]، فهي رحلات ينجزها السلطان أو من ينوب عنه لتفقد الأقاليم والقضاء على التمرد.

د- أنواع الرحلات :

إن الرحلة تتعد وتتنوع بتعدد الأغراض والمقاصد مثلما قال شوقي ضيف : "أما الرحلات في الامم والبلدان عن طريق البر وفي القوافل فهي كثيرة مفرطة، وهي أيضا متنوعة"[3]، فهناك رحلات فعلية تتدرج تحتها أنواع وهناك رحلات خيالية وأسطورية.

---

1 ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الادب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، ط1، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، 1995/1415، ص 33.

2 محمد بن عبد الوهاب الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، دط، منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو، سنة 1940، ص 2.

3 شوقي ضيف، الرحلات، ط4 ،دار المعارف، 1119 كورنيش النيل ا،لقاهرة، ج.م.ع، دت، ص 5 – 6.

1- الرحلات الفعلية :

1-1- الرحلة العلمية :

وهي من الرحلات المشهورة والشائعة، إذ كما سبق وأن ذكرنا أن طالب العلم خاصة في المغرب إذا أكمل تعليمة، سافر واغترب من أجل لقاء أهل العلم والمشايخ للأخذ منهم والاستفادة من علمهم، فكانت رحلاتهم بغية الاستكشاف والدراسة ولقاء العلماء والتنقيب والبحث والقراءة، ونجد من حقق هنا النوع من الرحلات، ما جاء به القرآن الكريم في رحلة بني الله موسى عليه السلام بامر منه جلّ جلاله، كما حث ديننا الحنيف على هذا النوع من الرحلة، إذ قال تعالى : (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122))[1].

1-2- الرحلة الدينية :

أمر الله عباده المسلمين بالحج إلى بيته العتيق، فتوجهوا إلى الأماكن المقدسة ملبين نداء خالقهم، وكلهم شوق إلى بلوغ المكان الذي أنزل فيه الوحي على سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، لذلك قصد كثير من الادباء و العلماء البقاع المقدسة، وقاموا بأداء فريضتهم، فبرع الكثير من الحجاج في وصف رحيلهم واقامتهم، وطرق سيرهم وطريقة أدائهم لمناسك الحج...، لقوله تعلى : (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)[2]، أو من نظر إلى جهود علماء الحديث خاصة في رحلاتهم وأسفارهم للبحث عن الحديث...، لوجد العجب العجاب"[3].

1-3- الرحلة الاقتصادية :

الدافع من هذا النوع من الرحلات يكون ذا طابع تجاري في كثير من الأحيان إذ أن الرحالة لايستهدف من وراء تجوال سوى استكشاف الأسواق، لكنه يستغل رحلته أيضا

1 سورة التوبة، الآية 122.

2 سورة البقرة، الآية 197.

3 فاضل اسماعيل خليل، "الرحلة في طلب الحديث"، مجلة آداب البصرة، العدد3، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2005، ص 31.

لأغراض علمية، فيسجل ما يراه من عجائب وغرائب الأشياء، وقد يكون الهدف من هذه الرحلة، الحصول على معلومات تخص منطقة معينة، وقد يكون الهدف أيضا نشر الاسلام والتعريف بتعاليمه من خلال تعاملهم وأخلاقهم وهذا ما وجدناه في العصور السابقة خاصة في العصر العباسي بعد تطور الحياة الإقتصادية آنذاك.

1-4- الرحلة الإستطلاعية (المغامراتية) :

يكون هذا النوع من الرحلة بدافع روح المغامرة، وحب الاستطلاع والرغبة في دراسة أحوال الشعوب ومعرفتها، فيدوّن أثناء رحلته ما يعجبه أو ما يلفت انتباهه، أو ما يخالف ماجرت العادة عليه في بلاده، ولعل أبرز الرحالة المغاربة في هذا الصنف، الرحالة الشهير "ابن بطوطة"، صاحب الرحلة المسماة "تحفة النظار"، ولقد كان من الرحالة أدباء وعلماء ومحبي ترحال، "وآخرون استهوتهم المغامرة، ودفعتهم المخاطرة إلى كشف النقاب عن المجهول من الأرض والناس"[1].

1-5- الرحلة الرسمية :

يضم هذا النوع من الرحلات كلا من الرحلات التكليفية، والإدارية والسفارية، وهي خاصة بدوافع عدة نذكر منها : تفقد امر الرعية، أو تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن بعيدة أو مجهولة والاتيان بالأخبار سواء من ناحية التجسس او الاستطلاع كما رحل سلام الترجمان بأمر الخليفة الواثق (227هـ/841م) للبحث عن سد الصين الكبير، الذي يقال إن الاسكندر بناه بين العالم القديم وديار يأجوج ومأجوج"[2].

1-6- الرحلة الفهرسية : وهي الرحلة التي يقتصر فيها مؤلفها على ذكر الرجال الذين لقيهم والشيوخ الذين قرأ عليهم"[3]، وكذلك الكتب التي درسها، فالرحلة الفهرسية من أهم المصادر في تاريخ الأدب العربي.

---

1 حسين محمد فهيم، ادب الرحلات، ص 11.

2 شوقي ضيف، الرحلات، ص 09.

3 القاضي عياض، الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق : السيد أحمد صقر، ط1، دار التراث، 1970، ص 70.

2- رحلات خيالية :

هي على خلاف الرحلة الفعلية (الواقعية)، كما أنها لاتتأسس على الواقع المعيشي أو التجربة الواقعية، بل يعتمد فيها الكاتب عالما متخيلا، يتطلب التفكير والتأمل فهو بذلك يحاول، إيجاد الأفضل في عالم غير عالمه، "ففي الرحلة الخيالية يطلق الكاتب عنان تفكيره لينقله بعيدا عن واقعه وعالمه إلى أماكن أخرى، وأزمنة متباعدة..."[1].

4- أدب الرحلة :

المفهوم :

يعتبر أدب الرحلات من أهم مجالات البحث، وذلك لما تنطوي عليه الرحلة من معارف وموضوعات تنقلها لنا الرحالة تكون محصلة لمغامراته ومعاناته وهذه هي الرحلة "نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة"[2]، فالرحلة فيها ما فيها من التعب والمشقة والتي تمتد ربما إلى عدة سنين، لذلك فقد اعتنى المغاربة بأدب الرحلات فدونوا رحلاتهم وحرصوا أثناء التدوين على إبراز الجانب الذي يميل إليه الرحال فهناك من اعتنى بالجانب الجغرافي وهناك من اهتم بالجانب الأدبي، فالادب كما نعرف، هو أحد الفنون، كالرسم والموسيقى[3]، كما أن الأدب يعتبر النقطة الأساسية المرتكز عليها في الرحلات، إلى جانب وجود الجوانب الأخرى، وقد نجد في كتابات الرحالين العرب والمسلمين رحلات يصفون فيها البلدان والسكان التي زاروها فيسجلون مشاهداتهم وانطباعاتهم الشخصية حول الاحداث المشاهدة، ويعد "أدب الرحلات فن من الفنون الادبية التي شاعت عند العرب منذ القديم وهو ذلك، الأدب الذي يكتبه الاديب واصفا ما شاهد ومتحدثا عمّا مر به في رحلة من رحلاته التي قام بها"[4].

---

1 حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص 150.

2 أحمد محمد الغزالي، احياء علوم الدين، ط1، دار بن حزم، 1426هـ 2005م، ص 273.

3 نور ثروب فراي، الخيال الدبي، ترجمة حنا عبود، دط، وزارة الثقافة (دراسات نقدية عالمية، 27، دمشق، 1995، ص 15.

4 نورلاس سليمان، "بنية اللغة السردية في ادب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله – الأشكال والدلالات"، فضاء المتخيل في الرحلات الجزائرية في العصر الحديث (2014، جامعة المسيلة، الجزائر، 15-11 ديسمبر 2013، ص 107.

فالانسان العربي منذ الجاهلية كان يقوم بالترحال بحثا عن الماء والأكل أو طلبا للتجارة أو أنه يجد فيها راحة وأنسا وترفيها عن النفس، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم كما سبق وأن ذكرنا آياتهه عزّ وجل، وكذلك نصوص الشعر الجاهلي التي توجد فيها إشارات واضحة على قيام الشعراء بالرحلات سواء داخل الجزيرة العربية أو خارجيها يتحدثون عن الرحلة في أغلب قصائدهم، والمعروف في الماضي أن وسيلة سفرهم الناقة، فهم دائما يتحدثون في مشاق الرحلة عليها"، إذ كانت الرحلة على الناقة الأمر الذي يلجأ إليه شاعر ليسري عن نفسه ماتحمل من هموم"[1]، "ومع أن هذه الرحلات لم يدوّن منها شيء أكثر مما ورد في مضامين الشعر وكتب اللغة فيما بعد، إلا أنه لابد أنها أفادت العرب فوائد عملية في فتوحاتهم التي انطلقوا فيها إلى ما جاورهم من بلاد لهم بها سابق معرفة عن طريق هذه الرحلات وغيرها"[2].

والصحيح الذي لاشك فيه أن الأدب الرحلي يشكل الحدث بما يحويه من مادة علمية مفيدة للقارئ وحتى المتجول إذ أن القارئ يكتشف من خلال هذا الأدب المجهول الذي لم تره عينه وتطؤه قدمه، والمتجول إذ يكون على سابق علم بما سيراه ويتعرف عليه من خلال جولته ولما لا قد تكون قراءته عن تلك الرحلة أو المدينة التي زارها هي من حفزه على الزيارة، ولهذا فإننا نقول أن نمط الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافيا وعلماء الإجتماع والإقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير، فالرحلات منابع ثرية لمختلف العلوم وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصر، فالرحالة وهو يطوي الأرض أثناء رحلته يغطي في نفس الوقت ملاحظة مظاهر مختلفة في الحياة، يشاهدها أو يسمعها أحيانا وينقلها في رحلته"[3].

---

1 حسين نصار، أدب الرحلة، ط1، مكتبة لبنان الحديثة، القاهرة، 1991، ص 100.

2 حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983/1403، ص 10.

3 المرجع نفسه ، ص 6.

ومن هنا فإن للرحلات قيمتان عظيمتان : "قيمة علمية، وأخرى أدبية"[1]، كذلك "لعب أدب الرحلة في تعريف بعض العرب بالحضارة الأوربية"[2]، وعليه فمن خلال أدب الرحلة تتعارف الامم والشعوب وتتقارب، حيث تتعرف كل أمة على ثقافة الأمم الخرى، ولهذا يمكن أن نعتبره نوعا من أنواع التواصل الثقافي.

عرفت الجزائر هذا اللون التعبيري الأدبي من الكتابة الادبية، بمساهمات واضحة ومعروفة في كتابة الرحلات ومن بين الباحثين الذين اهتموا بأدب الرحلة المؤرخ أبو قاسم سعد الله الذي قام بعدة رحلات، عرفناها في كتابه "تجارب في الأدب والرحلة" ومن رحلاته نذكر : "رحلتي إلى المغرب، رحلتي إلى الجزيرة العربية... التي ستكون ضمن عينة الدراسة في بحثنا.

5-أدب الرحلة الجزائري قديما :

عرف الرحالة الجزائريون قديما فن الرحلة كغيرهم من المشارقة وأنجزوا رحلات كثيرة، إقترنت بدوافع متنوعة، أبرزها طلب العلم، والقيام برحلات سياحية أو تأدية للفرائض الدينية.

وقد تعددت توجهات الرحالة الجزائريين عبر أقطار العالم العربي وكانت أكثر رحلاتهم نحو المشرق، والمعروف "عن المشرق العربي أنه كان محل إهتمام، أهل المغرب العربي وإفريقية منذ دخول الإسلام إلى هذه البلاد، فبادر الكثير منهم إلى السفر نحو المشرق، لدواع إجتماعية وثقافية وغيرها، وكانت أبرز المدن المقصودة في أولى عهود الجزائريين بالرحلة، بغداد وكذلك القاهرة، كما سُجلت رحلات نحو دمشق.[3]

غير أن الرحالة الجزائريين، لم يعنوا بتدوين تلك الرحلات ونقل أخبارها إلا مع ظهور القرن الثامن، الذي برزت فيه بعض المؤلفات المدونة، وهي أغلبها رحلات مشرقية

1 حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب ، ص 6.

2 نازك سبابايارد، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، ط2، نوقل، 1992، ص 09.

3 سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، دط، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 30.

على حد تعبير أحد الباحثين، إذ يقول "بعد القرن الثامن الهجري أزهى عهود الرحلات في الأدب العربي من حيث التنوع و الكم"[1].

ولعل أقدم من دوَّن أخبار رحلته إلى المشرق، من رحالي الجزائر، أبو القاسم بن يوسف التجيبي التلمساني (730هـ-1329م)، كان قد زار مصر والحجاز، فلقي شيوخ القطرين وأخذ عنهم، كما أدى فريضة الحج، فضمنت رحلته المدونة.

ورغم تزايد عدد الرحلات الجزائرية إلى المشرق العربي وإلى الحجاز على وجه الخصوص، في هذه الفترة "إلا أن التأليف بقي قليلا جدا لتعرض أغلب مصادره للضياع نتيجة الإضطرابات السياسية، التي عرفها المغرب العربي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر ميلادي)، نتيجة الحملات والنكبات المتكررة على أهم سواحله"[2].

ومع دخول القرن العاشر، شهدت الجزائر فترة سياسية جديدة تمثلت في دخولها تحت راية الحكم العثماني، مما لوحظ على هذه الفترة ضعفا في الحركة الثقافية وفي حركة الترحال.

غير أن القرون الثلاثة الموالية للقرن العاشر، شهدت انبعاثا واحياء لفن الرحلة على يد رحالة من الرحالين الجزائريين وهو : "أبو العباس أحمد المقري التلمساني، وأبو القاسم أحمد البوني في القرن الحادي عشر، وعبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، وأحمد بن عمار الجزائري، والحسين الورتلاني وهم كتاب القرن الثاني عشر للهجرة، وأبو راس الناصر المعسكري، وعبد القادر بن محي الدين الجزائري، وأبو حامد العربي المشرقي المعسكري من القرن الثالث عشر للهجرة"[3].

ومجمل القول، أن الرحلات التي قام بها الجزائريون في الفترة الممتدة بين القرن الثامن والقرن الثاني عشر للهجرة "وكانت في معظمها تتجه نحو المشرق، بدافع الحج وطلب العلم أو الهجرة فكان هؤلاء الرحالة يسجلون إنطباعاتهم كل حسب علمه ومشربه

1 سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، ص 33.

2 المرجع نفسه، ص 34.

3 المرجع نفسه، ص 35.

وتكوينه، فمهم من غلب على كتاباته الطابع الديني، ومنهم من إهتم بالعلم ورجاله ومنه من تحدث عن المدن، ووصف المسالك والممالك"[1].

6-أدب الرحلة الجزائري في العصر الحديث :

عرفت الرحلة في العصر الحديث عند العرب عموما، وعند الجزائريين خصوصا تزايد في عددها وتنوعا في طابعها وإتجاهاتها، "كما كثر نشاط الرحالين الجزائريين في القرن العشرين خاصة منذ الحرب العالمية الثانية، وقد بدأ يتضح لهم في الوقت نفسه أكثر فأكثر، الوجه البشع للإحتلال الفرنسي، وبدأت تتعدد إتجاهات رحلاتهم ودوافعهم فيها، فمنها ما كان داخل الوطن ومنها ما كان خارجه"[2].

ومن الرحالة الذين واكبوا العصر الحديث في الجزائر برحلاتهم، وإتجهوا إلى المشرق وإلى الغرب الأوربي نجد كل من "الطيب المهاجي، البشير الإبراهيمي، محمد ناصر الغسيري، عثمان سعدي، محمد دبوز، أحمد توفيق المدني، محمد ناصر، أحمد منور، أبي القاسم سعد الله، وقد تباينت مقاصدهم في الرحلة وغاياتهم في زيارة البلدان، كما إختلفت اهتماماتهم ما بين الثقافة والدين وكذا السياسة والفكر"[3].

وقد تنوعت المناطق المقصودة بالزيارة لدى الرحالين الجزائريين "فإرتحل الطيب المهاجي إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ولقاء علماء المنطقة وإرتحل البشير الإبراهيمي إلى باكستان مرورا بباريس ومصر، بينما شملت رحلات الغسيري بلدانا عديدة ومختلفة من الوطن العربي إبتداءا من طرابلس المغرب، حتى سوريا ولبنان مرورا بمصر والسعودية، وإقتصرت رحلة عثمان سعدي على مصر"[4].

وتعددت رحلات المدني في هذا القرن وشملت دولا عربية منها طرابلس ومصر والسودان وسوريا والكويت، الأردن والعراق واليمن والسعودية غير أننا "نجد عنده الرحلة

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة، دط،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 203.

2 عمر بن قينة ، أدب الرحلة في النثر الجزائري الحديث، رسالة دكتوراء دولة، معهد الأدب العربي، جامعة الجزائر، 1992، ص 36.

3 سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور، ص 42.

4 المرجع نفسه ، ص 42.

إلى الحج جزئية جدا، طغت فيها المهام السياسية على غيرها، فإختلط الحديث فيها عن الحج والسياسة"[1].

كما إرتحل دبوز إلى مصر، "متجها إلى مدينة طنطا بالتحديد، والتي يعتبرها بين المدن المصرية كازهرة بين الأوراق، وهي المدينة التي ولد فيها الرافعي وأنتج أدبه فيها، فضمت وفاته"[2].

أما رحلة محمد ناصر، فيمكن إعتبارها رحلة ثقافية قام بها صاحبها بدافع المشاركة في ندوة ثقافية بسلطنة عمان أقيمت للتعريف بالصحابي الجليل مازن بن غضوبة – رضي الله عنه– كما تركزت رحلات سعد الله على زيارة الجزيرة العربية وإلى الحجاز وعلى وجه الخصوص للمشاركة في ندوة عالمية تاريخية بالرياض، وإغتنام فرصة وجوده بالسعودية لأداء العمرة.

أما رحلته الثانية، فكانت بإتجاه المغرب لغرض البحث في مكتبات المغرب عن مصادر ومراجع تهم كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي"، فعدت رحلته من الرحلات العلمية الثقافية، فإحتوت على جوانب عدة منها : ماهو تاريخي وجغرافي، وتنوعت الأغراض فيها بين الإطلاع على المخطوطات والتعرف عن مكنونات المغرب.

نخلص في الأخير أن الرحلة في الجزائر، لم تختلف عن مثلها في المشرق إذ أنها مرت بمراحل عديدة منذ الصغر وبدايات تكوينها إلى أن تطورت، فإنتقلت من الطابع الجغرافي والتاريخي المعروف في الرحلات القديمة إلى التعبير عن الذات والإنطباعات، والمشاعر والتصورات التي صاحبت العصر الحديث، فالرحلة في هذه الفترة طرحت قضايا ثقافية وحضارية، إضافة إلى القضايا الإيديولوجية، وقد تغيرت الرحلة في العصر الحديث في مساراتها ودواعيها، "فشملت بلدان مشرقية كثيرة من الخليج العربي، والشام مرورا بمصر وأداء مهام سياسية وسفارية وإنجاز أسفار كشفية أو معاينته مواقع أثرية...،

1 عمر بن قينة ، الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، دط، دراسة من منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1999، ص24.

2 عمر بن قينة، أدب الرحلة في النثر الجزائري الحديث، ص 188.

ونجد كذلك من خلال تتبع مصادر الرحلة الجزائرية تتعدد طرائق تدوينها فمنها ما كان في كتب كاملة ومنها ما أخذ حيزا يسيرًا كبيرا من كتب أخرى"[1].

7-الرحالة الجزائريون ورحلاتهم :

7-1- الطيب المهاجي :

ولد محمد الطيب المهاجي المولود مصطفى بن محمد السينين بن مصطفى بن سيدي الفريج المهاجي، المعروف بـ : "أمهاجة" من ضواحي وهران، التي درس فيهال أولى مراحل حياته وكانت محل علم وعناية من قبل أهلها، كثيرة الشيوخ المختصين في الفقه والشريعة وأصول الدين واللغة، وأقام في وهران دارسا ومدرسا، إبتداءا من سنة 1907م، وأنشأ لتعليم العلوم الشرعية واللغوية التي نبع فيها مدرسة عربية حرة، حتى أشتهر بين العام والخاص في الجزائر وخارجها"[2].

قام المهاجي برحلات مختلفة، شملت العديد من البلدان العربية، فتنوعت الأهداف فيها، حيث "سافر إلى فاس بالمغرب الأقصى عام 1346هـ، وشهد مجلس قراءة صحيح البخاري، ولقي شيوخ المدينة، كما إستطاع أخذ صورة عن طبيعة الحياة فيها واصفا في ذلك إعجابه بنشاط الحركة والتعليم بالمنطقة، وإستنكاره للجمعات والإحتفالات المقامة عند ضريح إدريس، وما يقع فيها من شعوذة وبدع ضالة"[3].

كما إرتحل كذلك إلى تونس سنة 1348هـ، "أقام بها أياما، صادف خلالها إمتحان طلاب جامع الزيتونة المتحصلين على شهادة التطويع للتدريس، فإستغل الفرصة للقاء أعضاء اللجنة الممتحنة، كالشيخ بيرم، وقاضي المالكية صادق النيفر"[4].

جرب المهاجي السفر مرة أخرى متجها نحو السعودية سنة 1350هـ، "لغرض القيام بفريضة الحج، فكانت إنطلاقته من مدينة وهران إلى جدة في رحلة بحرية إلى مكة

1 سمير أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والبنية والتطور، ص 104.

2 عمار المهاجي، الاعلام بمن حل بوهران من الأعلام، ط1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص ص 21-22.

3 سميرة أنساعد، المرجع السابق، ص 79.

4 المرجع نفسه، ص 79.

والمدينة... وقد لقي في رحلته العديد من العلماء والشيوخ، وفاز بانجازات علمية برواية ما أخذ عنهم، إضافة إلى أنه إستفاد من التعرف على الحياة العامة في الحجاز، وظروف التعليم ومناهجه فيه"[1].

ساهم المهاجي برحلاته في التأليف، "وإن كطانت مؤلفاته قليلة، فقد أضاف لكتابه أنفس الذخائر كتاب مختصر في المنطق، ورسالة في التصوف، ورسالة في باب معرفة علامة الإعراب، وأخرى في تزويد الحاج بالمناسك المعوزة لمذهب الإمام مالك، إلى أن وافته المنية عام 1969م[2].

7-2- البشير الإبراهيمي :

ولد الإبراهيمي في أولاد أبراهم بولاية سطيف عام 1889م، تلقى تعليمه الأول بقبيلته، ثم هاجر إلى الحجاز، وإلتحق بأسرته التي هاجرت إلى هناك قبله وعاش في المدينة وواصل أخذ العلم من مشايخها، ثم إرتحل بعدها إلى دمشق عام 1916م، مع والديه إثرى ترحيل الحكومة العثمانية لسكان المدينة المنورة إلى دمشق، وكان متشوقا لرؤيتها متطلعا إلى الأخذ عن علمائها، والإستفادة من مشايخها[3].

كان البشير الإبراهيمي نشيطا ومحبا للحركة والتنقل في أرجاء الوطن العربي، والعالم الإسلامي ماجعله يقوم برحلات عديدة في أقطار العالم العربي، متجها إلى كل من مصر وباكستان واللتان ورد ذكرهما في كتابه المعنون بـ : "رحلتي إلى الأقطار الإسلامية".

لقي الإبراهيمي فرصة ثانية للرحلة إلى المشرق عام 1952م، إلى مصر، "فكانت المحطة الأولى في هذه الرحلة، شاهد فيها القاهرة ومحيطها الإنساني وجوها العلمي والفكري وقد دامت رحلته تسعة أيام، التقى فيها بالكثير من الأشخاص منهم أساتذة

1 الطيب المهاجي، أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما أنفق لي في الماضي والحاضر،دط، الشركة الجزائرية والأدوات للطبع والأوراق ،دت، ص 92.

2 مسيرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والبنية والتطور، ص 80.

3 المرجع نفسه،ص ص80-81..

الجامعة الأزهرية ومديرها (عبد اللطيف دراز)، كما ذكر فيها زيارته للمقر المركزي للإخوان المسلمين...، وقد رأى في ذلك دلالة قوية لما يربط حركة الإخوان المسلمين في مصر بجمعية العلماء المسلمين في الجزائر، لما يحملان له معا من إحياء صحيح الإسلام وقيمه الروحية"[1].

كما أنجز الابراهيمي رحلات أخرى إلى البلدان الإسلامية عام 1985م، فكانت رحلته هذه المرة إلى دولة باكستان، والتي كانت إستجابة لدعوة وصلته من هناك للمشاركة في مؤتمر الشعوب الإسلالمية في كراتشي، بإسم مؤتمر العالم الإسلامي القديم، فكانت بدايته في هذه الرحلة القاهرة، عبر بغداد وصولا إلى كراتشي"[2].

حيث يقول في هذا : "كنت يوم خرجت من الجزائر مصمما على أن أقيم بالقاهرة يومين وأواصل السفر بعدها إلى باكستان، لأن مكان مصر من الرحلة يأتي في الأخير ولأن باكستان هي الأولى في البرنامج"[3].

وقد تحدث البشير الإبراهيمي في رحلته إلى باكستان عن الموقع التاريخي لمدينة (كراتشي) وجوانب مختلفة اجتماعية ودينية، منها حيث " لفت نظره تكاثر المساجد والتنافس السلبي في ذلك تنافسا طائفيا وفئويا لدى المسلمين، فكل واحد من هؤلاء يسعى لبناء مسجد يصلي فيه هو أتباعه، كما تحدث عن زياراته لبعض المسؤولين السياسيين في باكستانن فكان أولهم الحاكم العام لدولة باكستان، السيد غلام محمد في مقره الرسمي مشغول البال بالدستور الذي تريده الدولة الإسلامية"[4].

لم يكن هم الكاتب أن يقدم في حديثه عن رحلاته، معلومات تاريخية ولاجغرافية بقدر ما كان همه أن يعبر عن إنطباعاته بشكل عام، فأعطى ملامح عامة عن (باكستان) ومصر والحياة التي فيهما، وسمات الإنسان هنالك وروحه.

---

1 عمر بن قينة، أدب الرحلة في النثر الجزائري الحديث،ص150.

2 المرجع نفسه، ص 151.

3 محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي،دط،ج4،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص21.

4 المرجع نفسه، ص ص 154-155.

وقد إختلفت مستويات التعبير في رحلات الإبراهيمي في حديثه ذي طابع صحفي ، كما يرى في فقرات حديثة عن إتصالاته في (مصر)، و (باكستان)... إلى آخر ينحو نحو الوصف كما هو الحال في إنتقاله بالقطار من "كراتشي" إلى "كاشمير"... فإتسمت الصياغة بشكل عام في كل ذلك برزانة العالم ووقار رجل الدين ونضجه السياسي ذي النظرة الواسعة"[1]، وتبقى روح الأديب في الرحلات هي المهيمنة.

7-3- محمد المنصوري الغسيري :

سمي محمد الغسيري نسبة إلى قرية غسيرة بولاية باتنة، التي ولد بها عام 1912م، فتلقى تعليمه الأول بها، ثم واصل الدراسة ببسكرة، ثم قسنطينة في الجامع الأخضر لإبن باديس وهي الفرصة التي قربته من الشيخ وجعلته بعد ذلك عضوا فعالا في التعليم والسياسة، فشغل منصب أستاذ في مدرسة سيدي بومعزة بقسنطينة عام 1937م، ثم مدير مدرسة الإرشاد بسكيكدة عام 1947م، كما عمل خلال تلك الفترة على تنشيط الكشافة، حيث شارك الغسيري في إطار التأليف، بعدة مقالات نشرت له في جريدة البصائر الثقافية، وكانت في جوانب عدة، منها اللغة والأدب و الدين والتاريخ بالإضافة إلى سلسلة من الرحلات التي نشرت له في هذه الجريدة، فكانت معظمها رحلات مشرقية، شملت بلدانا عربية كمصر والحجاز، وسوريا ولبنان.

أنجز الغسيري العديد من الرحلات نحو المشرق، فكانت بداية رحلاته "نحو مصر في وفد الكشافة الإسلامية الجزائرية، إستجابة لدعوة الكشافة المصرية، للمشاركة في إحتفالات ذكرى الثورة التحريرية المصرية، وإتسعت رحلاته إلى السعودية لغرض الحج وامتدت إلى سوريا ولبنان[2].

1 عمر بن قينة، أدب الرحلة في النثر الجزائري الحديث ،ص 162.

2 عمر بن قينة، الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، ط1، دار الأمة، الجزائر،1995م، ص ص 185-186.

إتبع الغسيري في رحلاته المدونة بعنوان رئيسي "عدت من المشرق" أسلوب اليوميات والترتيب الزماني للأحداث مع دقته في الوصف، وبراعته في طرق المواضيع السياسية والثقافية و الإجتماعية المثارة أثناء رحلاته....، فتعرض إلى النهضة في الشرق والغرب العربيين، وإحتلال إيطاليا لليبيا، ومظاهر التدين في مصر، وحال هجرة الجزائريين نحوها[1].

وقد إعتمد في كتابته للرحلة على "الوصف الجيد الذي يكشف عن روح أديب، ورجل فكر وسياسة في مبادئه روح الوطنية والقومية، فتراوح هذا الوصف بين إرتباطه بالسرد التقريري وبالتصوير الأدبي الجيد[2]، ومهما يكن من شيء، "فإن رحلات الغسيري قد عبرت عن إمكاناته الأدبية في التفكير والتعبير، كما عبرت عن حبه للترحال، خاصة بين أقطار الوطن العربي والعالم الإسلامي، وهو ما يعطي صورة جلية عن حسه الوطني، وإعتزازه بانتمائه الحضاري عربيا وإسلاميا[3].

7-4- عثمان سعدي :

ولد عثمان عام 1930م، في دوار تازبنت، بتبسة التي تابع دراسته الإبتدائية بها، بعد ذلك بمدرسته البنين والبنات بجمعية العلماء المسلمين بتبسة، ثم معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة ومنه تحصل على بعثة دراسية إلى القاهرة لمتابعة دراسته الجامعية بكلية الآداب عام 1952م، فتحصل على الليسانس عام 1956م، ورجع إلى الجزائر وتحصل من جامعتها على شهادة الماجيستر سنة 1979م، ثم الدكتوراء بنفس الجامعة عام 1985م[4].

مارس عثمان سعدي أعمال السفارة والدبلوماسية في دول عربية مختلفة كالكويت والعراق وسوريا، أما نشاطات التأليف فقد ركز سعدي على قضية التعريب ومسيرة الغة

1 عمر بن قينة ، أدب الرحلة في النثر الجزائري الحديث، ص 162.

2 سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، ص 89.

3 المرجع نفسه ، ص 182.

4 المرجع نفسه، ص 89.

العربية في الجزائر فألف كتابين هامين وهما "قضية التعريب في الجزائر" و "عروبة الجزائر عبر التاريخ" إضافة إلى مقالات كثيرة في الجزائر والمجلات حول التاريخ والأدب والسياسة"[1].

لقد نشر الكاتب رحلته بعنوان "وطني"، في حلقة واحدة "فإحتلت تقريبا صفحة كاملة من جريدة البصائر وهي تخص رحلته نحو مصر، فكانت رحلة عبر البحر لم يحدد تاريخ الإنطلاق فيها ولاتاريخ كتابتها، كما أنه لم يعين الميناء التي أبحرت فيه الباخرة ولم يذكر الميناء الذي رصت فيه"[2].

عبر الرحالة في رحلته عن ضيقه من واقع وطنه وأوضاعه المتردية إقتصاديا إجتماعيا، ثقافيا، سياسيا، منحصرا على ماضيه الزاهر، ساخطا على هيمنة الإحتلال وطغيانه وعلى أبناء الوطن الذين لايهدفون – كما يرى – إلى خدمة الوطن، بل يسعون إلى تحقيق مآرب شخصية[3].

7-5- محمد علي دبوز :

ولد محمد علي دبوز عام 1919م، في مدينة (بريان) بولاية غرداية، درس فيها وتعلم من شيوخها وإلتحق بمعهد الحياة بالقرارة، في الولاية ذاتها وتابع تعليمه بعد ذلك في تونس عام 1941م، ثم رحل إلى مصر عام 1942م، ودامت مدة اقامته بها لـ 6 سنوات، استغلها للتعلم والسياحة، وكانت له رحلة أخرى إلى مصر عام 1955م، وعند رجوعه إلى الجزائر، إنكب للتأليف والتدريس بمعهده الأول "الحياة"[4].

تعد رحلة محمد علي دبوز، رحلة مختلفة على نمط الرحلات المعهودة، "ويظهر ذلك من عنوانها "وقفة في دار الرافعي وعلى قبره"، ويبدو في هذا العنوان بصورة جلية إنحصار الرحلة في موضوع واحد وهو الحديث عن مصطفى صادق الرافعي، تأثر محمد

1 سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، ص 89.

2 عمر بن قينة، أدب الرحلة في النثر الجزائري الحديث، ص 185.

3 المرجع نفسه ،ص 185.

4 عمر بن قينة، إإجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص ص 353-354.

دبوز بشخصية الرافعي دفعه للقيام بالرحلة نحو مصر، وبالتحديد إلى مدينة طنطا التي عاش فيها الأديب وزار الأماكن والمعالم التي إرتادها، فتكونت لديه صورة عن المدينة التي قضى فيها الرافعي حياته وأنتج أدبه فيها.

تشبع الرحالة بالفكر الديني والإصلاحي وسيلة إلى الثقافة العربية، حرضه في النهاية على إنجاز هذه المرحلة التي حقق بها أمنيته، حيث يقول في ذلك "وما أشد فقرنا إلى جيش من البلغاء يرابطون تحت راية القرآن كالرافعي ليعرفو معانيه في النفوس وينعشو العربية التي يصر الإستعمار على قتلها في الجزائر[1] .

ولعل اعجاب محمد علي بمدينة (طنطا) مرده إلى الرافعي وما يمتلك من "سعة في علمه، وحسه الديني وأصالة فكره، وجودة أدبه، لأنه إضافة إلى عبقريته الأدبية فهو كذلك مصلح إجتماعي من أكبر مصطلحي هذا الزمان، فأدبه أداة لإيمانه وغيرته، ينير به الطريق لقومه ويوجههم للمثل العليا الكريمة"[2]، وتظهر رسالة محمد دبوز الفنية، وراء تأليفه الرحلة "هي حث الشاب الجزائري والمتأدبين على الإقتداء بشخصية الرافعي، والثقافي في خدمة العلم والفن والإخلاص لهما وعدم التكاسل على الإنتاج والتأليف فيها إيمانا منه بأن العلم هو السلاح الأقوى لتغيير حال الجزائر والجزائريين"[3].

7-6- أحمد توفيق المدني :

ولد في تونس سنة 1889م، من أصل جزائري درس في جامعة الزيتونة فإهتم بمجالات عدة منها اللغة والدين والتاريخ، ألقي عليه القبض من المحتل الفرنسي لنشاطه الثوري، وسجن أربع سنوات ونفي من تونس إلى الجزائر عام 1925م، وفيه كانت له الفرصة للمشاركة في العمل السياسي لتطوير وطنه وتحريره، ثم إنضم سنة 1951م، إلى جمعية العلماء المسلمين فكان عضوا في هيئتها التنفيذية، وعين ممثلا لجبهة التحرير في

1 عمر بن قينة، أدب الرحلة في النثر الجزائري الحديث ،ص .187

2 المرجع نفسه ، ص188 .

3 سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسته في النشأة والبنية والتطور، ص.92

4 عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ص ص 355-357.

مصر، مع وفد من السياسيين سنة 1956م، إضافة إلى قيامه بنشاطات سياسية وسفارية بعد الاستقلال [1].

تعددت رحلات أحمد توفيق المدني الخارجية وتنوعت خاصة في الوطن العربي والعالم الاسلامي، "فكانت إلى المغرب الأقصى، ودمشق وبغدادوالسعودية والكويت والأردن ولبنان وليبيا وتونس والسودان والصومال، ثم باكستان وأندونيسيا وماليزيا"[2].

وقد عرفت رحلاته تنوعا في أغراضها وإتجاهاتها فمنها ماكان لآداء فريضة الحج والعمرة ومنها ما كان لآداء مهام سياسية كلف بها من طرف جبهة التحرير إضافة إلى وجود أغراض ثقافية في حضوره مؤتمر الخريجين في دمشق ولقاء العلماء والأدباء.

وأول رحلة قام بها المدني هي رحلته في نوفمبر 1955م، إلى المغرب بمناسبة عودة ملك المغرب محمد الخامس من المنفى إلى الرباط، لتهنئة "وقد نشر الكاتب رحلته هذه تحت عنوان (ولسوف يعطيك ربك فترضى)، حيث وصف الكاتب حالته النفسية السابحة في أجواء الود العطرة، والصفاء الذي إمتلأت به النفوس، كما وصف إستقبال وفد الجمعية من طرف الملك محمد الخامس معبرا عن شعوره إتجاه الجمعية وتقديرا لجهودها الإسلامية الوطنية"[3].

إنقسمت رحلات المدني إلى قسمين، "قسم أول أنجز فيه الرحالة زياراته السريعة إلى البلدان العربية، لأهداف منها، جمع المال والمعونة لصالح جبهة التحرير الوطني، وحث الحكومات على عدم قطع المساعدات على الجبهة للدفع بالثورة التحريرية إلى الأمام، وعدم إفشالها إزاء العدو، فأرخت رحلاته في هذا القسم إبتداءا من 30 أفريل 1956م"[4].

1 عمر بن قينة، أدب الرحلة في النثر الجزائري الحديث، ص 195.

2 المرجع نفسه، ص 195.

3 المرجع نفسه، ص ص 195-196.

4 سميرة أنساعد ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري الحديث دراسة في النشأة والبنية والتطور، ص95.

أما القسم الثاني : فقد شمل رحلات أخرى للمدني مع مطلع عام 1959م، أعطاها الكاتب عنوانا هو "الرحلة العربية الكبرى"، على أسلوب المذكرات المعنى بذكر التواريخ بدقة وتفاصيل الأحداث التي جرت فيها مع سرعة في السرد في كثير من الحالات من غير نفي لبعض التأملات الفكرية المعبرة عن روح ناقدة إتصف بها المدني، فصيغت مقاطعة الوصفية وفقرات رحلاته التحليلية"[1].

7-7- محمد ناصر :

ولد محمد ناصر سنة 1938م، في القرارة ولاية غرداية وفيما أبرز تعليمه حتى نهاية مرحلة الثانوي، وتابع بعد ذلك دراسته في جامعة القاهرة للحصول على شهادة ليسانس في الأدب العربي سنة 1966م، وبعد رجوعه إلى الجزائر، عمل في التدريس والدراسة فتحصل على شهادة دكتوراه درجة ثالثة عام 1972م، ودكتوراه عام 1983م[2]، غهتم محمد ناصر بدراسة الأدب العربي الجزائري فكان له العديد من الكتب التي تتناول قضايا الأدب، أهمها المقالة الصحفية الجزائرية وتطورها، الشعر الجزائري الحديث وإتجاهاته الفنية.

لاتختلف رحلة محمد ناصر، عن رحلة سعد الله في غرضها إذا كانت رحلته لهدف حضور ندوة ثقافية، إستجابة لدعوة وصلته من وزارة التربية بسلطنة عمان للمشاركة في ندوة عن الصحابي "مازن بن غضوبة رضي الله عنه".

نشر الكاتب رحلته إلى (مسقط) بسلطنة عمان تحت عنوان "عام أوراق ثقافية من عمان"، في حلقتين إثنتين، بجريدة السلام، كان عنوان الحلقة الأولى الفرعي "الصحابي الجليل مازن بن عضوبة – رضي الله عنه – في ندوة ثقافية، أما عنوان الحلقة الثانية الفرعي فهو "جسور للمحبة والتعاون"[3].

1 سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري الحديث دراسة في النشأة والبنية والتطور، ص 96.

2 عمر بن قينة، إتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، ص ص 358-359.

3 عمر بن قتيبة، أدب الرحلة في النثر الجزائري الحديث ،ص 237.

تركز إهتمام الكاتب، "في الحلقة الأولى من مرحلته على الجو العلمي الهادف الجاد الذي جرى فيه نشاط الندوة، بينما أفسح المجال لأفكاره العديدة، ومشاعره، وإنطباعاته المختلفة وآرائه في الحلقة الثانية، بدأها بثناء طيب على مثقف سفير الجزائر في عمان، ولم يبخل بجهده ووقته للإهتمام بالعلم ورجاله وخدمة وطنه هنالك...، ثم شرع يتحدث عن الجهود الكبيرة التي تبذلها الدولة في المجال الثقافي، خاصة منه ما يتعلق بالتراث، فحدثنا عن المكتبة الوطنية وبعض المكتبات الخاصة وبعض رجالها، وفي جميع المواقع كان الكاتب يقدم إنطباعاته ومشاهدته أثناء زياراته مسجد الصحابي مازن بن غضوبة، ببلدة "سمائل"، فلم يكتف بسرد الأعمال التي أقيمت في الندوة ومحاضراتها، بل تعدى إلى وصفه لمدينة عمان وأماكنها "دون أن ينسى مدح أهلها والثناء على خصالهم الثقافية والدينية لخدمة الإسلام، والأمة الإسلامية"[1].

8- نبذة عن أبو قاسم سعد الله :

لقد كان للكلمة الفنية، في مضمار الحروب والمحن وزخرة جريحة في هذه المأساة وأصداء متجاوبة في تجسيم أبعاده، فالنص الأدبي القائم لم يتمخض إلا عنها ولم يترعرع إلا في أحضانها، فالأدبي حامل الثقافة العربية كان الضحية للمأساة، والمرامي المستهدفة بشظاياها، فهو العدو الكبير للمستعمر الذي يفسر خططه ومشاريعه ويفضح نواياه، فمنهم من هو على قيد الحياة ومنهم من مات رحمة الله عليه، ومن هؤلاء الأدباء الذين قدموا أنفسهم خدمة لوطنهم بالكلمة الصادقة أثناء الاحتلال أو بعد الاستقلال، قدم التضحيات الجسام في تنوير عقول شباب الجزائر من منبر جامعة الجزائر الحرة، بالكلمة النبيلة، والمعلومة المفيدة والرسائل التعليمية الإصطلاحية، أبو القاسم سعد الله، أننا أمام شاعر متمكن يروض الكلمة والقول، ويختبر الحياة قبل أن يضفرها في تشكيل شعري.

1 سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والبنية والتطور، ص 101.

8-1- مولد وتعلم أبو القاسم سعد الله :

ولد المؤرخ الشاعر أبو القاسم سعد الله بقرية البدوع في وادي سوف (الجزائر) 1930، وفيها تلقى تعليمه الإبتدائي وبعد الحرب العالمية الثانية سافر إلى تونس 1947 دارسا بجامع الزيتونة مشاركا في الوسط الأدبي بقلمه، ثم سافر إلى القاهرة سنة 1955 حيث تحصل على ليسانس في الأدب العربي من كلية دار العلوم، وسافر بعدها إلى أمريكا 1960، وعاد منها بشهادة ماجيستر ودكتوراه في التاريخ سنة 1965 ليعمل في الجامعة المركزية...[1]

كما أنه درس اللغات الأجنبية : الإنجليزية، الفرنسية، الفارسية، الألمانية، ومبادئ الإسبانية، كما ذكر المؤرخ الكبير أنه في عام 1954 نشرت له مجلة "الآداب" البيروتية مقالا ذكر أنه كان بعنوان "أرض الملاحم"، كما ذكر أن أحداث الثورة الجزائرية كانت تشجعه وتثير حماسة للبحث فكانت نتيجة أبحاثة وجهوده أشعار وأبحاث تناولت الادب الجزائري من عدة جوانب[2].

8-2- ثقافته ونشاطاته :

8-2-1 ثقافته :

بما أن البيئة التي نشأ فيها أبو القاسم سعد الله، بيئة ذات ثقافة عربية اسلامية محافظة جدا، كانت بدايته الثقافية بحفظ كتاب الله العزيز في مسقط رأسه "البدوع"، ثم انتقل إلى بيئة مشابهة وهي منطقة البريد التونسي التي زاول فيها دراسته بالزيتونة كما سبق وذكرنا، ولنا في هذه الصفحات توضيح موجز عن أبو القاسم سعد الله ومقتطفات عن أهم إبداعاته ونشاطاته في مختلف الميادين وكذا مؤلفاته :

1 محمد بوزواوي، موسوعة شعراء العرب، دط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 262.

2 أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الراتب للكتاب، الجزائر، 2007، ص 7. (بتصرف).

أ- في الشعر :

اتجه سعد الله إلى الإتجاه الرومانسي في شعره، وكان ذلك نتيجة الظروف البيئية التي نشب فيها، وقد نشرت له أربع دواوين أغاني الحياة 1955، الزمن الأخضر 1985 النصر للجزائر 1956، ثائر وحب 1967، كما أنه من "أحد الأسماء التي سيظل التاريخ الجزائري يذكرها لارتباطه بميلاد أول قصيدة في الشعر الحر بعنوان "طريقي" وقد نشرت بجريدة البصائر الثانية في 25 مارس 1955[1].

والدكتور عبد الملك مرتاض أيضا : "وأيا ما كان الشأن فإن لأبي القاسم سعد الله فضل السبق والريادة، وهو محمود المسعى على ما بادر إليه من هزّ القصيدة العمودية الرتيبة الثقيلة التي ظلت تتحكم في رقاب الشعراء الجزائريين قرونا طولا قبله"[2].

فبتمرده على القوالب الشعرية طرق باب الشعر الحديث الحر، من حيث تقريبة إلى الأدب الإنساني الذي كان شغله الشاغل أنه جزء من الثورة أو شكل من أشكالها كما ذكر أنه حين نشر مجموعته الشعرية "النصر للجزائِ" سنة 1957 استقبلها الجمهور العربي بحفاوة خاصة[3]، وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على قدرة وكفاءة الأديب ولذلك فإن أغلب الكتاب والمؤرخين يعطون له، السبق أو الأولوية من الشعراء الجزائريين الذين اتجهوا إلى الشعر الحر في محاولة منه التجديد في شكل القصيدة في الجزائر لذلك يقول الدكتور محمد ناصر : "إن الشاعر الجزائري الوحيد الذي اتجه إلى هذا الشعر أي الشعر التجديدي عن وعي واقتدار، وحاول التجديد في الإشكالية الموسيقية للقصيدة في بنيتها التعبيرية هو أبو القاسم سعد الله..."[4].

1 عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن 20، دط، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 452.

2 المرجع نفسه، ص 458.

3 أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 184.

4 محمد بوزواوي، موسوعة شعراء العرب، ص 263.

ب- في القصة :

عملت الثورة على إفراز أدباء يكتبون القصة ويصورون الواقع المعيش آنذاك، واستمر هذا حتى بعد الإستقلال، فقد عالجوا موضوعات شتى أفرزتها الحياة الإجتماعية أما موضوعات الثورة بقيت إلى الآن أساس الكتابات خلال هذه السنوات –سنوات الثورة التحريري– برز كتاب عديدون منهم أبو القاسم سعد الله، فلقد بدأ اهتمامه بالقصة في وقت مبكر منها ما نشر ومنها ما لم ينشر، من أشهرها سعفة خضراء 1854، إذ يقول الدكتور عمر بن قتيبة عنها : "علامة واضحة أصلية في مسار القصة الجزائرية القصيرة في انتقالها من قالب الحكاية، والمقالة القصصية إلى قالب ناضجة تماما"[1].

وسبب توجه سعد الله هذه الوجهة الى القصة، يقول : "يكاد الأدب الجزائري يكون خاليا من عنصر القصة التي أصبحت مادة أولى لمفاهيم الآداب العالمية... ورائدي في كل ذلك خدمة أدبنا الحديث ليمكن من مواكبة النهضة العربية في مختلف الأقطار"[2].

ولعل الدافع الأساسي الذي دفعه إلى البحث والكتابة سواء في الشعر أو القصة هو خدمة الأدب الجزائري عامة والادب الجزائري الحديث خاصة ليواكب الأقطار الأخرى.

ج- في التاريخ :

شغف شاعرنا وطموحه بمختلف الفنون الأدبية لم يصل إلى هذا الحد فقط بل اقتحم مجالا آخر أصعب، لأنه يعتمد على النظر والتحقيق والدقة، وهو مجال التاريخ فقد كان مدرسا مؤرخا، إذ تفرغ لكتابة تاريخ الجزائر وما عاشته ويعد كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" الذي طبع في 09 أجزاء من أشهر كتبه في التاريخ إضافة إلى كتب أخرى.

د- في الدراسات الأدبية والنقدية :

هذا إلى جانب غوصه في بحر البحث، فإن له آثارا في الدراسات الأدبية والنقدية فهو مشغوف إلى حد الافتتان بالبحث عن الآثار الأدبية والعلمية لعلماء الجزائر في

1 محمد بوزواوي، موسوعة شعراء العرب ، ص 263.

2 أبو القاسم سعد الله، سعفة خضراء، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 05.

جميع العصور"[1]، كتب الكثير من الأبحاث عن تطور الأدب العربي في الجزائر، كما أن له الفضل في التعريف بشعراء وأدباء الجزائر إذ أصدر كتابا مهما عن الشاعر محمد العيد آل خليفة ويعد بداية للممارسة النقدية متبعا فيه أحدث طرق البحث والدراسة الأدبية، كما وقد ذكر ذلك في كتابه دراسات في الأدب الجزائري الحديث إذ قال أن الجمهور العربي استقبل بحفاوة كبيرة، أكبر دراساته عن الشاعر "محمدالعيد آل خليفة" رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث التي صدرت سنة 1961.

والمتتبع لسيرة سعد الله يجد نفسه تائها أمام هذا التشعب، فوجدناه شاعرا كما عرفناه قاصا وناقدا لحاجة الأدب الجزائري إلى ذلك، هذا ووجدناه مؤرخا فحمله الذي قال أنه لم يتحقق هو الإستقلال لفلسطين.

"وقد كرمته وزارة المجاهدين بطبع أعماله الكاملة الخمسين لاندلاع الثورة التحريرية، فبلغت الأعمال 12 مجلدا، وقدم لهذه الأعمال الرئيس عبد العزيز بوتفليقة"[2].

وهذا وإن دلّ إنما يدل على أن هذه الشخصية، شخصية بارزة وعظيمة، صوتها يدوي في الساحة الادبية والنقدية والتاريخية وفي ختام هذه السيرة الموجزة لحياة سعد الله تحضرنا مقولته التي نراها أنها تلخص مبادئه في الحياة إذ يقول : "إن ما نفتخر به في الجزائر هو الإيمان بالحرية في الحركة وفي التعبير، ذلك أن هذه الحرية حصلنا عليها بثمن باهض، وإننا غيورون عليها غيرتنا على أرواحنا حريمنا وقيمنا"[3].

8-3- مؤلفاته :

8-3-1-في الأدب والنقد :

- أغاني الحياة (شعر، دار الكتب الشرقية، تونس، 1955).
- النصر للجزائر (شعر) دار الفكر، القاهرة، 1957.
- محمد الشاذلي القسنطيني، الشركة الوطنية، الجزائر، 1947.

---

1 أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 07 .(بتصرف).

2 محمد بوزواوي، موسوعة شعراء العرب، ص 263.

3 أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، ص 06.

- محمد العيد رائد الشعر الجزائري، دار المعرفة، القاهرة، 1976.
- دراسات في الأدب الجزائري، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007،
- تجارب في الأدب والرحلة، 1983.
- سعفة خضراء (قصص) الجزائر، 1986.
- أفكار جامحة.

8-3-2- في التاريخ :

- حياة الأمير عبد القادر، 1974.
- الحركة الوطنية الجزائرية، 1977.
- تاريخ الجزائر الثقافي، 1981 (نشر في 9 أجزاء).
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، 1982، ج2، 1986، ج3، 1988.
- محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، 1982.
- الحركة الوطنية الجزائرية .1983

5-3-3- في الدراسات الفكرية العامة :

- الفتى ابن العنابي رائد الإصلاح الإسلامي، 1976.
- منطلقات فكرية، 1982.[1]
- الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري، 1982.
- قضايا شائكة، 1989.
- حوارات، 2005.
- أفكار جامحة، 1988.

وفاته :

توفي المؤرخ الكبير بعد هذا العطاء يوم 14 ديسمبر 2013 بالمستشفى العسكري حيث كان يتلقى العلاج[2].

1 محمد بوزواوي، موسوعة شعراء العرب، ص 264.

2 أبو القاسم سعد الله، معلومات شخصية، ويكيبيديا، 3 مارس 2016.

الفصل الثاني

بنية المكان في أدب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله

1- مفهوم المكان .

2- مكان الرحلة .

3- المكان التاريخي .

1- مفهوم المكان :

أ- لغة :

ورد في لسان العرب لابن منظور لفظ " مكان " تحت الجذر " مكن " فقال : والمكان الموضع ، والجمع أمكنة ، كقذال و أقذلة ، وأماكن جمع الجمع قال ثعلب : يبطل أن يكون مكان ، فعالا ، لأن العرب تقول كن مكانك وقم مكانك ، واقعد مقعدك ، فقد دلّ هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه. [1]

ويذهب الليث الى أن " المكان " في أصل تقديره الفعل مَفْعَلُ ، لأنه موضع لكينونة الشيء فيه غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى فعال ، فقالوا : مكَّنا له وقد تمكَّن .[2]

ويذهب ابن سيدة الى أن المكان " جمع أمكنة ، فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية لأن العرب تشبه الحرف بالحرف ، كما قالوا منارة ، ومنائر فشبهوها بفعالة ، وهي مفعلة من النور وكان حكمه مناور ". [3]

وكذلك كان مذهب " الزبيدي " الذي استشهد بقول ليث السابق ذكره : " المكان اشتقاقه من كان يكون ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية " [4]

كما وافقهما الأزهري بقوله: " ان العرب لا تقول : هو مني مكان كذا وكذا بالنصب"(*). [5]

---

1 ابن منظور ، لسان العرب ، ط1 ، مج 06 ، مادة (ك.و.ن) ص 83 .

2 المرجع نفسه ، ص 83 .

3 المرجع نفسه ، ص 83.

4 الزبيدي ، تاج العروس ، تح علي بشيري ، دط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، مج 18 ، 1994 ، ص488.

* إذ أن دليل الأزهري لا ينطبق وما جاء به سيسبو به في باب ما ينصب من الأماكن والوقت بحيث يقول : " وذلك قول سمعناه منهم : وهو مني منزلة الشغاف وهو مني منزلة الولد ... " .

5 الأزهري ، تهذيب اللغة ، تح علي حسن هلالي ، دط ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، دتا ، ص 488.

وقد قيل الميم في " المكان " أصل ، كأنه من التمكن دون الكون وهذا يقويه ما ذكرناه من تكسيره على أفعلة ". [1]

والمكان : الموضع والمكانة يقال فلان يعمل على مكينته أي على اتئاده ... والمكانة المنزلة عند الملك ، والجمع مكانات ولا يجمع جمع تكسير وقد مكن مكانه فهو مكين ". [2]

ومكنته من الشيء وأمكنته منه فتمكن منه واستمكن...وأما أمكنني الأمر فمعناه أمكنني من نفسه ".[3]

أما في القرآن الكريم وردت لفظة مكان بمعنى المستقر ومنه قوله تعالى : " « وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيًا »" [4] ، أي خبرها حين اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار [5] ، وقوله تعالى أيضا : « وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ »[6] ، ووردت أيضا بمعنى المنزلة الرفيعة في قوله تعالى : « وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا »[7] ، ويقال الناس على مكناتهم أي على استقامتهم " [8] ، ولفظة مكان وردت بمفاهيم متقاربة تكاد تتفق كلها على أي مكان يعني : الموضع والمحل والوجودفي مكان ما .

1 الزبيدي، تاج العروس ، ص 488.

2 ابن منظور ، لسان العرب ، ص 82.

3 الزمخشري ، أساس البلاغة ، تح باسل عيون السود ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، ج2 ، بيروت لبنان ، 1998 ، ص 223 .

4 سورة مريم ، الآية 16 .

5 جلال الدين المحلي ، جلال الدين السيوطي ، تفسير الجلالين ، ط3 ، دار الخير دار القرآن الكريم للطباعة والنشر، دمشق ، سوريا ، 2003 ، ص 306.

6 سورة ق ، الآية 41.

7 سورة مريم ، الآية 57.

8 الرازي ، مختار الصحاح ، تح مصطفى ديب البغا ، ط4 ، دار الهدى للطباعة والنشر ، عين مليلة ، الجزائر ، 1990 ، ص 399.

وعليه فالأرجح أن يكون المكان مشتق من (كون) على وزن مَفْعَل من الكون كموضع ومقعد .

ب- اصطلاحا :

يمثل المكان مكونا محوريا في بنية السرد ، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان فلا وجود لأحداث خارج المكان ، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين " ونص الرحلة يتأسس بناءا على المكان وبهذا يصبح خطاب الرحلة شكلا فضائيا : استنادا الى مكون المكان الذي يصبح مكونا سرديا مركزيا لارتباطه بالوصف ، وعليه يقوم خطابالرحلة بتتبع حركة الرحالة داخل الفضاء " [1] ، كما أن السارد يهتم بالأمكنة كخلفية للأحداث وكمؤثرات على الأفعال البشرية ، وباعتبار الأماكن هدف استراتيجي يسعى الرحالة أو الناس عموما الوصول اليها بأهداف مختلفة فهي تساعد على الفعل الرحلي .

ويعد المكان مكونا أساسيا سواءا في الرحلة أو الحكاية أو الرواية ... فلا يمكن أن نجرد أيا من هؤلاء من المكان ، إذ لا يمكن تصور رحلة دون مكان يقصده الرحالة أو السارد وهنا يمكننا القول أن المكان يمثل " مكونا محوريا من بنية السرد ، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان ، ولا وجود لأحداث خارج المكان ، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين " [2]

كما أن المكان يحوي الأشياء فنستطيع أن نميز فيما بينها يمكننا القول أن المكان هو "الحاوي للموجودات المتكاثرة ، ومحل التغيير والحركة في العالم المحسوس ، عالم الظواهر الحقيقي ". [3]

---

1 بوقرومة حكيمة ، بوقرومة زاهية ، " صورة المكان في الرحلة الجزائرية الحديثة" ، فضاء المتخيل في الرحلات الجزائرية في العصر الحديث ، ص 158.

2 محمد بوعزة ، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم) ، ط1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2010 ، ص99.

3 محمد علي عبد المعطي ، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها ، ط2 ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، 1984 ، ص 124 .

كما أن " المكان حقيقة معاشة ويؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه " [1]، ويذهب غاستون باشلار الى تحديد مفهوم للمكان بقوله أن " المكان هو المكان الأليف ، وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه ، أي بيت الطفولة ، أي أنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة ، وتشكل فيه خيالنا " [2] ، من خلال ما قُدم يتبين أن المكان هو الذي نعيش فيه ، هو الذي يحوينا ويحوي الموجودات مثل ما سبق وأن ذُكر ، كذلك هو المكان الذي نتخيل فيه ونبحر بخيالنا فيه ، واذا تحدثنا عن المكان الذي يتخيله الأديب فهنا " يسلك العقل الذي يتخيل الطريق المعاكسة للعقل الذي يلاحظ . إن الخيال لا يرغب في أن ينتهي برسم بياني يلخص المعرفة المكتسبة ، بل هو يبحث عن ذريعة يضاعف بها الصور ، وحين يبدي الخيال اهتماما بصورة ما ، فإن هذا يزيد من قيمتها "[3] ، هذا يعني أن الأديب يستخدم في وصفه للأماكن والصور خياله فيزيد من جمالها وقيمتها .

من خلال ما سبق نتوصل الى أن للمكان أهمية كبيرة في الحياة التي نعيشها فلا حياة من دون أماكن نتواجد بها ، كذلك له أهمية في الأعمال الأدبية إذ أن " العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته " [4] . ونلاحظ أن " غاستون باشلار " يركز على القيم الإنسانية التي يتسم بها المكان معتمدا في ذلك على فاعلية الخيال مثل ما سبق وأن ذكرنا فالمكان عنده ليس موضعا له أبعاد جغرافية وهندسية فحسب بل هو أكثر من ذلك فهو يرى أنه ذو بعد انساني ونفسي وروحي يجسدها العمل الفني .

وبما أن للمكان أهمية بالغة في بنية النص الرحلي كغيره من النصوص الأدبية ، فقد حظي باهتمام عدد كبير من الباحثين ، الأمر الذي أدى الى ظهور عدة مصطلحات

---

1 سليم بتقة ، " تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي " ، مجلة المخبر ، العدد السادس ، جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر ، 2010 ، ص 02.

2 غاستون باشلار ، جماليات المكان ، تر غالب هلسا ، ط2 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، 1404 – 1984 م ، ص 06 .

3 المرجع نفسه ، ص ص 146 – 147.

4 المرجع نفسه ، ص ص 05 – 06 .

منها الفضاء ، الحيز والمكان ، ولذلك وجب علينا أن نسعى الى تحديد الإختلاف بين هذه المصطلحات محددين بذلك مفهوم كل مصطلح ، فالفضاء كما سبق وأن ذكرنا أنه مصطلح واسع ، فهو " أشمل وأوسع من معنى المكان ، والمكان هو مكون الفضاء ... فهو العالم الواسع الذي يشمل مجموعة الأحداث الروائية ، فالمقهى أو المنزل أو الساحة، كل منها يعتبر مكانا محددا ، ولكن اذا كانت الرواية تشمل هذه الأماكن كلها فانها جميعا أما الحيز، فيعتبره عبد المالك مرتاض " أوسع من الفضاء لأنه يحوي الوزن والثقل والحجم والشكل ، وهو أشمل من المكان لأنه قد يضم غير المحدود منه ، والخيال كذلك".[1]

وفيما يخص المكان فقد سعى غاستون باشلار إلى دراسته كما سبق وأن ذكرنا ، حيث اعتبره المكان الأليف الذي ولدنا فيه ونمارس فيه حياتنا سواء اليقظة أو الأحلام من خلال خيالنا[2].

وتتفاوت الرحلات الجزائرية الى المشرق خاصة وأن هذا الأخير " كان محل اهتمام ورعاية وتقديس عند أهل المغرب العربي ، وإفريقية ، منذ دخول الإسلام إلى هذه البلاد ، فبادر الكثير منهم إلى السفر نحو المشرق ، لدواعي إجتماعية وثقافية وسياسية وإقتصادية ، وكانت أهم طبقة إهتمت بالرحلة الى المشرق ، طبقة العلماء من رواة ونقلة في أمور الفقه و التفسير و الحديث ، هؤلاء قاموا برحلاتهم إلى منابع العلم الأول في مصر والحجاز والشام والعراق " [3]، ونجد في الرحلات الجزائرية على وجه الخصوص أن المنطلق يتفاوت مواقعه في النص الرحلي ، منها ما يغيب فيها تقريبا ، رغم حضوره في واقع الرحالة المرجعي ، ليولي عناية كبيرة بالأماكن ، وهذا ما لم نشهده عند أبو القاسم سعد الله ، فنجده قد ذكر الوطن الجزائر في عدت مرات في رحلته إلى الجزيرة العربية

1 عبد المالك مرتاض ، نظرية الرواية بحثفي تقنيات السرد ، ص 141 .

2 غاستون باشلار ، جماليات المكان ، ص 6 (بتصرف).

3 محمد الطمار ، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، دط ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1983 ، ص82.

السعودية والتي تعد من أهم الرحلات العلمية ، إذ كانت بهدف حضور الندوة العالمية الأولى المخصصة لمصادر دراسة الجزيرة العربية في 21 أفريل 1977 ، والملاحظ في هذه الرحلة أن أبو القاسم سعد الله عبّر عن منطلقه وهو مطار الجزائر الدولي ، الذي ساد فيه نوع من الأسف والقلق نظرا للإساءة التي تلقاها هو وبعض الشخصيات العلمية سابقا ، وهو ما جعل هذا النص يحمّل مطار الجزائر دلالات سلبية

ونجد في رحلة أبو القاسم سعد الله أماكن المنطلق والمرجع و التي أظهر فيها صعوبة ترك الوطن والاهل والاحبة ، وهذا ما توحي به لحظات تعداد شوقه إلى مسقط رأسه وذكر الأهل والخلان ومن أمثلة ذلك قوله : " عندما صعدت الطائرة في سماء جدة، وحومت فوق الميناء ، وسارت محاذية لضفاف البحر الأحمر كانت خطواتي موزعة ، فالحنين إلى مهبط الوحي ومنبت العربية يشدي إليه ، والشوق إلى مسقط الرأس ومراتع الأهل والخلان تنادي بألف صوت ... ثم وليت وجهي نحو المغرب مرددا ، مقالة الخليفة العظيم : ياأهل المغرب مغربكم" [1]، و من المعروف أن الرحلة تعتمد أساسا على فعل الحركة والتنقل من مكان الى آخر ، فيكون فيها تباشير المكان عن طريق ذكر الكاتب لتلك الأماكن وهي ميزة يتميز بها الأدب الرحلي عن باقي الأعمال القصصية الأخرى ، والمشارإليه في الرحلات عن الواقع فنجد الرحالة يصف الأماكن في رحلته ، وحينها نشعر أن بعض الاوصاف أنجزت في الوقت الذي يوجد فيه السارد قرب الشيئ أو المكان وبعض الأوصاف أنجزت في الوقت الذي يوجد فيه الرحالة بعيدا عن ما يصفه فنجد بعض الاوصاف باهتة الأجزاء والألوان ، وبذلك ندرك أن الذاكرة قد تكون خانت الرحالة في بعض الصفات والملامح .

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب الرحلة ، ص 255.

2- مكان الرحلة :

ينقسم مكان الرحلة الذي يستعيده الكاتب الى ثلاثة أقسام :

المكان المنطلق، والمكان المعبر ، والمكان المقصد ، وهي أماكن مرحلية تختلف وتتنوع علاقتها مع الشخصية الراحلة .

2-1- المنطلق :

يمثل المكان المنطلق الأساس الأول الذي تتولد فيه نقطة البداية وهو المكان الوطن حيث يرغب الرحالة في مغادرته لإكمال ما ينقص من حاجات روحية أو علمية أو مادية كالسفر من أجل العلم والبحث في " الحديث وحفظه والمحافظة عليه من الدسائس".[1]

وكذلك الرحلة من أجل الفقه والتعلم بصفة عامة ، والرحالة دائما يسعى للرجوع الى مكان المنطلق ، ويظل غالبا حاضرا في الرحلة ، حتى بعد مغادرة الرحالة له ، ومن هنا يصبح المكان المنطلق مرجعا وسجلا يلجأ إليه الرحالة أثناء المقارنة والتقويم والحكم .

وقد عبر أبو القاسم سعد الله عن منطلقه ، وهو مطار الجزائر الدولي الذي ساد فيه نوع من القلق والإنزعاج ، والأسف من المبالغة التي طبعت عملية التفتيش لحقيبة الرحالة ، وقد دفع هذا الموقف بالكاتب إلى الحديث عن المعاملة السيئة التي لاقتها شخصيات علمية من الوطن العربي ، هذا ما جعل النص يُحمّل مطار الجزائر دلالات سلبية ، مشحونة بالنقد والدعوة إلى التغيير من أساليب المعاملة مع الآخرين.

ويتجدد ذكر المنطلق في رحلة أبو القاسم سعد الله ، وهذه المرة وطنه الجزائر بصفة عامة ، وذلك في مرحلة العودة ، فقال : " عندما صعدت الطائرة في سماء جدة ، وحومت فوق الميناء ، وسارت محاذية لضفاف البحر الأحمر كانت خواطري موزعة ، فالحنين إلى مهبط الوحي ومنبت العربية يشدني إليه ، والشوق إلى مسقط الرأس ومراتع الأهل والخلان تناديني بألف صوت .

---

1 فاضل إسماعيل خليل ، " الرحلة في طلب الحديث " ، مجلة آداب البصرة ، العدد 38 ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، 2005 ، ص 31 .

وتذكرت ، والطائرة تفارق أرض الجزيرة العربية في إتجاه الغرب ، مقالة أحد السعوديين عندما ذكرني بما كان الخليفة عمر بن الخطاب يقوله للمسلمين بعد أداء فريضة الحج ، وهو : يا أهل الشام شاملكم ، ويا أهل المغرب مغربكم " [1] ويحدث هذا غالبا في نهاية الرحلة ، وهذا ما لا نجده في بداية الرحلة من شدّ الأنظار نحو المكان المقصد ، إذ نلاحظ أن مكانة الوطن تغلب في العودة ، بعد صداع يعيشه الرحالة مابين تمني استطالة الزمن ليظل بالمكان مدة أطول وبين شوق يعتريه لبلده وأهله وهذا ما برع أبو القاسم سعد الله في تصويره وهذه الظاهرة الشعورية عادية في الإنسان ، كما إختار سعد الله ما يقدم دعما لقراره وشاهدا تاريخيا ودينيا يخص المقولة المشهورة للخليفة عمر بن الخطاب للحجاج : " يا أهل الشام شامكم ، ويا أهل المغرب مغربكم " [2]

لم ينعدم عنصر المماثلة عند أبو القاسم في التشبيه بين المرئي (مارآه) الجديد من أماكن بمكان مألوف عنده ومعروف في الوطن ، وهو من الحضور الإسترجاعي داخل زمن الرحلة ، وفي ذلك ما رآه من شبه بين الدرعية القديمة وبعض واحات الجزائر الصحراوية ونلمس ذلك في قوله : " والدرعية القديمة عبارة عن خرائب لمباني قديمة استراتيجية ، وهي تقع على وادي بوحنيفة ، وحولها النخيل والأشجار وبعض الكدى ، وهي تذكرك ببعض مدن الصحراء الجزائرية مثل بسكرة وبوسعادة " [3].

2-2- المكان المعبر :

يمثل مكان العبور الحيز المتوسط للمنطلق والمقصد ، وهو الفضاء الذي يربط بين نقطة الإنطلاق ونقطة المقصد ، وهو يظم أمكنة يجتازها الرحالة للوصول إلى المكان المقصود ، وهو بداية السفر خارج مكان الألفة (الوطن) ، وفيه يقابل الرحالة العديد من الشخصيات ويتزود بمعلومات ومعارف وتجارب متنوعة التي قد تكون إيجابية أو سلبية ، ويكتسب هذه المعلومات والتجارب جراء اللقاءات والصدامات والمفاجآت .

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الادب والرحلة ، ص 255 .

2 المصدر نفسه، ص 255.

3 المصدر نفسه ، ص 245.

ويعرض لنا سعد الله مرحلة العبور ، ومراحل السفرمن الجزائر الى العربية السعودية ورغم أن السفر كان جويا ، فقد كان للطائرة محطات حددها الكاتب أو الرحالة قائلا : " والطائرة التي أقلتنا من مطار الجزائر سعودية كانت قادمة من المغرب ، وقد توقفت بنا في مطار تونس ومطار طرابلس ومنه مباشرة إلى مطار جدة ، وعندما توقفت في مطار تونس وإجتمع ركاب العبور ، إكتشفتُ وجود أعضاء الوفد المغربي المتوجه أيضا الى ندوة الرياض ، وكل أعضائه معروفون لدي ، بعظهم تربطني بهم رابطة المودة والعلم وأكل الخير والملح مثل الدكتور عباس الجراري والدكتور عبد الكريم كريم وبعضهم تربطني بهم معرفة قديمة جمعتنا الكتب والأبحاث مثل الشيخ محمد إبراهيم الكتاني والأستاذ محمد المتوفي " [1] .

وقد عدد سعد الله المحطات الأولى من سفره الحجازي ، وهي محطات عبور لكنها لم تكن للرحالة مؤدية لدور العبور فحسب ، بل كانت فرصة له حتى يصادف أصدقاء ، ورجال سبق له معرفتهم ، ومقابلتهم بالمغرب ، وبعض منهم أصبح رفيقا دائما للرحالة في جولاته بالحجاز ، وهو ما يعطي مكان العبور الدور الفاعل حيث أنه مكان لقاء ، والمحدد لرفقة الرحالة .

2-3- المكان المقصد :

هو المكان المنشود الذي سعى إليه الرحالة ، وتحمل في سبيل الوصول إليه مشقة السفر ، ومخاطر الطريق ، " وهو الإطار العام الذي تتحقق فيه الرغبات ، فيتم اللجوء اليه عن رغبة وشوق (الحج ، الزيارة ، السياحة) ، أو بأمر (السفارة) ، أو عن ضرورة حاجة (التجارة ، العلم)، أو عن اضطرار (الهجرة ، النفي) " [2] .

وغالبا ما يتم تحديد المقصد في بداية الرحلة ، حيث يعلن الرحالة عن طبيعة الرحلة إن كانت حجية أم سفرية أم سياحية ، وعادة ما يحمل الرحالة رؤى وتصورات

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الادب والرحلة ، ص 238.

2 شعيب حليفي ، الرحلة في الادب العربي ، ط1 ، رؤية النشر والتوزيع ، القاهرة ، 2006 ، ص 350 .

ذهنية ووجدانية بخصوص المقصد الذي يتوجه إليه ، قد تتحقق هذه التصورات على أرض الواقع وقد لا تتحقق .

وتدخل رحلة سعد الله ضمن الرحلات الحجازية التي كان الدافع منها علميا ، ثقافيا غير أن الرحالة لم يضيع فرصته عند زيارة الحجاز ، في الاعتمار والزيارة ، وكانت رغبته شديدة في ذلك ، وقد قدم الكاتب أو بالأحرى الرحالة عدة مقاطع وصفية للأماكن التي زارها منها الرياض والدرعية ، ومكة ، والمدينة ، وجدة ، وبعض المرافق المتوفرة في تلك المدن السعودية ، كالفندق والمكتبات الخاصة والعامة ، والأسواق التجارية ، وهي الأماكن التي زارها الرحالة ، وأعاد إسترجاعها خلال التدوين فيقول واصفا بعض الأماكن التي شاهدها في الرياض ، وعاين مظاهرها ومكوناتها كالفندق والمتحف الوطني ، ومكتبة الجامعة وكلية اللغات : " وأذكر ان معظم أعضاء الوفود كانوا يقيمون في فندق (زهرة الشرق) الذي يعتبر من أكبر الفنادق في الرياض ، فهو مكيف الغرف وفيه بهو واسع ، وكان يعرض فيه أثناء إقامتنا فيلمان ، أحدهما عربي والآخر أجنبي ، وشاهدنا في حفلات زواج على الطريقة الحديثة .[1]

وفي احدى الجولات الجماعية دخلنا المتحف الوطني بالرياض ، فإذا هو على صغره تحفة من حيث التنظيم والتنسيق وطريقة العرض ، وقد رأيت أحد الأعضاء الذين كانوا يدعون في بلادهم التقدمية على الطريقة الفرنسية ... أما في بعض جولاتي الخاصة فقد دخلت أحد الأسواق العامة (سوبر مارشي) فإذا فيه كل شيء على الطريقة الأوربية والأمريكية ... اغتنمت فرصة من الوقت وذهبت رفقة بعض الأعضاء إلى مكتبة جامعة الرياض ، والمكتبة الحالية من أحدث طراز ، وفيها جهاز ذاتي لإطفاء الحريق ، وقيل أن ألمانيا الغربية هي التي بنتها في ظرف عام فقط ، وتظم قسمين أحدهما للمطبوعات والآخر للمخطوطات ... ولما كان حضورنا يصادف أيام الإمتحانات فقد وجدنا المكتبة عامرة بالطلاب والمطالعين وفيها أقسام متخصصة للفهرسة والتبادل

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الادب والرحلة، ص 238.

والشراء ، ولها إدارة حازمة ... وزرت أيضا مبنى كلية الآداب وتجولت في أقسامها وكانت الكلية ، أيام تواجدنا ، خلية نحل بالعاملين في الندوة لأن سحب البحوث يتم هناك ورئاسة الندوة نفسها هناك " [1] ، تتحدد الأماكن المقصودة بالزيارة في هذا النص بدقة ، عن طريق تقنية الترسيخ ، وإظهار الخصائص والصفات المشاهدة ، كما إعتمد في بعض معلوماته على ما سمعه هو شخصيا ، كتلك التي أفادنا فيها ببناء المكتبة ، ومدة البناء ، كما وضح مميزات الأماكن والتي تنوعت مابين مكان الإقامة ومكان آثار ومكان علم وثقافة ، كما نلاحظ الوصف الموضوعي في النص ، إلا أنه لا يخلو من بعض الذاتية في حالات وصف قليلة ، كإستخدامه أسلوب التفضيل (أكبر ، أحدث) ، والتقويم بألفاظ الجمال والإبداع والإستحسان من قبل الواصف الذي رأى تلك الأمكنة .

ويعرفنا أبو القاسم سعد الله على الطريق وملامحها من مكة الى جدة وهو تعريف أنجز بالسرد الوصفي ، التأملي الصادر عن رؤية الرحالة ، ومتابعته ومشاهدته لما يراه في المكان ، وهو ينتقل بين مدينتين ، فقال : " اكتريت سيارة حملتني الى جدة ... وفي أقل من ساعة كنا في جدة ، وكان الجزء الأول من الطريق غير واضح لإختلاط الليل بالنهار ،أما الجزء الثاني منه فقد رأينا فيه إعلانات ضخمة عن شركات الطيران الدولية والشركات التجارية ، ومن وقت لآخر كنا بعض الأشجار والتجمعات السكنية البسيطة ، وعلى جانبي الطريق تختلط الرمال بأحجار الجبال والكدى ... وقد دل إمتداد مدخل جدة من جهة مكة على تضخم جدة وإمتدادها نحو الشمال الشرقي ، ورغم أن النوم كان يثقل أجفاني فإني كنت ألتفت ورائي محاولا تكحيل جفوني بآخر مناظر مكة وآخر جبالها ونواحيها " [2] ، والكاتب يقسم الطريق على لوحتين : واحدة ضبابية ، ممزوج فيها الأبيض والأسود والثانية واضحة المكونات والملامح ، توجد فيها على طول الطريق أشياء كثيرة من صنع الله والبشر ، ويعبر الرحالة أو الكاتب بعد هذا الوصف ، عن تأثره لفراق مكة ، ويظهر ذلك من خلال كثرة إلتفاته وراءه نحو المكان المقصد .

---

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الادب والرحلة ، ص ص 245 – 246.

2 المصدر نفسه ، ص 254 .

3- المكان التاريخي :

قد يستعيد كاتب الرحلة عملية التدوين أماكن كثيرة ، وجدت في أزمنة ماضية مقارنة بزمن الرحلة ، وبعيدة تدخل في زمن التاريخ على أدق تعبير ، وتبتعد موضوعيا عن معايشة الرحالة بها ، فيروي أحداثا جرت في هذه الأماكن ، وأدتها شخصيات أخرى ماضية ، ولم يشهدها الرحالة عيانا ، بل إستقاها من ذاكرته ، أو من مصادر موثوقة ككتب التاريخ ، وأفراد من البلد المقصود ، ويبقى المكان التاريخي في الدرجة الثانية من عناية الراوي ، يأتي بعد مكان الرحلة الرئيسي .

ويهدف الراوي في أغلب الأحيان إلى التنويع في زمن السرد ،والتوسع في وصف المكان ، والتعريف به ولا يكون القصد التاريخ في حدّ ذاته ،الذي هو من أهداف او من مميزات كاتب التاريخ وفي اغلب الأحيان يهدف الكاتب إلى الانتقال من زمن الرحلة الفعلي إلى الزمن الماضي لوصفه الأماكن والتعريف بها وبشخوصها ، والملاحظ أن الأسلوب يتغير إذ يقترب من اللغة المباشرة التقريرية دون خلوها من بعض الأساليب الإنطباعية بهدف تمرير حقائق تاريخية التي تساعد على المعرفة أو العبرة .

ونجد في رحلة سعد الله الحجازية وقفات يسيرة (قليلة) للمكان التاريخي أهمها تلك التي بيّن فيها المؤلف نشأة الدرعية الجديدة في العصر الحديث ، وسقود الدرعية القديمة في الماضي فهو هنا يسترجع ماضي الدرعية فيقول : " والدرعية عبارة عن خرائب لمباني قديمة إستراتيجية ... ويذكر المؤرخون أن جيش محمد علي والي مصر هو الذي هدم الدرعية سنة 1811 تنفيذا لأوامر السلطان العثماني بالقضاء على الحركة الوهابية عندئذ، ومازالت هذه الخرائب ، وهي عبارة عن قصور وقلاع ومقاصير وأبواب خشبية مزخرفة وأشكال هندسية جديرة بالدرس والمحافظة لأنها جزء من تراث الجزيرة العربية من جهة ومن تراث العربي والمسلمين عامة " [1] .

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الادب والرحلة ، ص 245

يعرض لنا الكاتب أو الرحالة في حديثه عن مدينة الدرعية ، القريبة من الرياض صورتين أو قسمين لها : قسم قديم يحوي آثار عمارة قديمة بفعل الحملة العسكرية التي ذكرها في قوله:" جيش محمد علي والي مصر هو الذي هدم الدرعية سنة 1811 تنفيذا لأوامر السلطان العثماني " [1] ، مما أدى هذا الهدم إلى إنجلاء السكان قرب المدينة ، وبذلك أسسوا بعدها درعية حديثة ، وهي القسم الثاني الذي وصفه الرحالة ببساطة في قوله : " أذكر أن الدكتور بورويبة قد أخذ ورقة وقلما وبدأ برسم بعض البوابات والاشكال الهندسية على بعض الجدران ، ولكن أحدهم تقدم منه وأخبره بالتوقف عن ذلك إلا بعد إذن ، وأخبرني الدكتور كامل عياد أن الدرعية وما جاورها كانت في التاريخ القديم موطن قبائل طي وأسد ، أما الدرعية الحديثة فهي قرية صغيرة ذات مياه وأشجار ومباني بسيطة وفيها على ما سمعت مدرسة ابتدائية واحدة " [2]

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الادب والرحلة ، ص 245.

2 المصدر نفسه، ص 245.

الفصل الثالث

بنية الزمن والشخصية في أدب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله.

1- مفهوم الزمن.

1-1- زمن الرحلة.

1-2- زمن التأليف.

2- مفهوم الشخصية.

2-1- شخصية الذات الفاعلة للرحلة.

2-2- الشخصيات المساعدة للرحالة.

2-3- الشخصيات الثانوية.

1- بنية الزمن :

1-1- مفهوم الزمن :

شغلت قضية تحديد مفهوم الزمن فكر العديد من الباحثين والنقاد ، وكان لكل واحد منهم طريقته في فهم مفهومه ، فأقاموا معارف مستقلة لا سيما إذا ما تعلق الأمر بالزمن من حيث هو مكون سردي ، وذلك ما دفع " باسكال " للذهاب الى : " أنه من المستحيل ومن غير المجدي أيضا تحديد مفهوم الزمن " [1].

وبالرغم من ذلك ، إتخذ هذا المكون دلالات متعددة ومختلفة لدوى العلماء و الفلاسفة فاختلفوا في تحديد مفهومه .

أ – لغة :

جاء في لسان العرب أن " الزمن و الزمان " إسم لقليل الوقت وكثيره ، وفي المحكم الزمن ، والزمان ، العصر ، والجمع أَزْمُن ، وأَزْمَانٌ ، و أَزْمِنَةٌ ، و زَمَنٌ زَامِنٌ : شديد ، و أزمن الشيء : طال عليه الزمان ، والاسم من ذلك الزّمن و الزُّمنة ، وأزمن بالمكان أقام به زَمَانًا ، وعامله مُزَامَنَةً ، و زَمَانًا من الزَّمن " [2].

وقد ورد تعريف آخر له كالآتي : " زمن ، الزاء ، والميم ، والنون أصل واحد يدل على وقت من الوقت، ومن ذلك الزمان ، وهو الحين قليله و كثيره يقال زمان ، و زمن ، و الجمع ، أَزْمَانٌ ، و أَزْمِنَةٌ " [3] .

ومن خلال ما سبق ذكره ، يتضح لنا مدى تعدد الألفاظ الدالة على الزمن ، وذلك ما دفع بعض اللغويين إلى القول بضرورة الفصل بين لفضي " زمن " و " زمان " ، إذ يقترح الدكتور تمام " حسن " لفظ " الزمان " للدلالة على الزمن الفلسفي ، بينما يطلق مصطلح " الزمن " للدلالة على " الزمن اللغوي " .[4]

---

1 عبد الملك مرتاض ، نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، دط ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 1998 ، ص 203

2 إبن منظور ، لسان العرب ، م13 ، مادة (ز.م.ن) ، ص60.

3 أبو الحسين أحمد بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، م3 ، دط ، دار الجيل ، بيروت ،1991 ، ص15 .

4 كمال رشيد ، الزمن النحوي في اللغة العربية ، دط ، دار عالم الثقافة ، عمان ، 2008 ، ص14.

لكن هذا التحديد في المفاهيم قوبل من بعض الدارسين بالرفض ، حيث رأى هؤلاء بعدم وجود فرق في استعمال مصطلحي الزمن و الزمان فهما " يردان في المعنى نفسه من غير تفريق " [1].

ب – **اصطلاحا :**

عرفه قديما الفيلسوف أفلاطون فقال الزمن هو الصورة المتحركة للأزل ... ويبدأ الزمن بأزل " [2] ، ويرى بعض الدارسون أن الأدب فن زمني ، وبخاصة الرواية ، فهو وسيط الرواية كما أنه وسيط الحياة " [3] ، كما نجد أن فئة اللغويين أو اللسانيين التي تباينت آراؤهم في الموضوع إلا أنهم إتفقوا في نقطة أساسية وهي كون الزمن اللغوي أو النحوي لا يخرج في كامل اللغات عن أقسامه الثلاثة وهي الماضي ، الحاضر ، المستقبل " فالزمن يتألف من علاقتي القبل والبعد وهما عنصران ذاتيان نضيفهما للزمن لكنهما غير موجودتين في العالم الطبيعي " [4].

وقد انصبت معظم إهتمامات الفلاسفة في مناقشتهم لمفهوم الزمن حول ثنائيات مختلفة متعلقة " بالكون ، والحياة ، والانسان ، فالوجود والعدم ، والميلاد والموت ، والثبات ، والحركة ، والحضور ، والغياب ، والزوال ، والديمومة " .[5]

ويعد " الزمن في العمل الإبداعي ، نوعا من تصالح الانسان مع ذاته ... ، بهذا يتحول الزمن في العملية الإبداعية الى أداة طيِّعة تسهم في جماليات النص الأدبي .... ، والزمن ذو طبيعة متحركة غير ثابتة على حال ، بل دافعة جارفة ، وهذه الطبيعة

---

1 كمال رشيد ، الزمن النحوي في اللغة العربية ، ص 14.

2 سميرة انساعد ، الرحلة الى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور و البنية ، رسالة دكتواه ، جامعة الجزائر ، اشراف الشريف مريبعي ، 2006–2007 . ص 168 ، (399 ورقة) .

3 هانز ميرهوف ، الزمن في الأدب ، تر : أسعد زروق ، د ط ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة / نيويورك، 1972 ، ص 13 .

4 محمد توفيق الضوى ، مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة ، دط ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، دتا ، ص 50 .

5 مها حسن القصراوي ، الزمن في الرواية العربية ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2004 ، ص11 .

المتحركة هي التي جعلته يتَّحد بالوجود ثم العدم ، بالحضور ثم الفناء ، والزمان هو الذي ينبئ الانسان بموته وزواله ، وعبثية كل وجوده ، كما يبشر بالجديد الوافد ، الميلاد الذي سوف يحدث والجديد الذي سوف يطرأ ..."[1]

وعليه يمكننا أن نصل الى أن الزمن عبارة عن فترة تنقلنا من حدث الى حدث آخر يأتي بعده وهذا ما يكسبه صفة الحركة .

أما مفهومه عند اندري لالاند هو " ضرب من الخيط المتحرك الذي يجر الأحداث... لمواجهة الحاضر " [2] .

هذا يعني أن الزمن في نظره خيط ينقل الأحداث ويشترط وجود مشاهد يقوم بمواجة الحاضر .

أما عبد الصمد زايد فنظر الى الزمان على انه : " تلك المادة المعنوية المجردة التي يتشكل منها إطار كل حياة ، وجيز كل فعل وكل حركة و الحق أنها ليست مجرد إطار بل انها لبعض لا يتجزأ من كل الموجودات وكل وجوه حركتها ومظاهر سلوكها " [3]، هذا يعني أن الزمن ظاهرة مجردة به تتم الحياة والحركة ، ليس هذا فقط بل عدَّهُ جزءًا من الموجودات كلها فهو " كالأكسجين يعايشنا في كل لحظة من حياتنا وفي كل مكان من حركاتنا ، غير أنَّنا لا نحسُّ به ولا نستطيع أن نتلمسه ولا أن نراه "[4] ، ويعد الزمن من " أهم العناصر الفنية في بنية الرحلات الخيالية ، فهو يمثل المدة التي إستغرقتها الرحلة الخيالية منذ انطلاقتها الى نهايتها "[5] ، وما نحاول الوصول إليه أو دراسته هو بنية الزمن في رحلة أبو القاسم سعد الله والتي لا تختلف عن النصوص الرحلية، إذ تعتبر هذه الأخيرة " إسترجاعا للإرتحال عن طريق الذاكرة التي يحفزها فعل الكتابة ، هذا يؤدي إلى

---

1 رابح الأطرش ، " مفهوم الزمن في الفكر و الأدب " ، مجلة العلوم الإنسانية ، ع6 ، جامعة فرحات عباس بسطيف مارس 2006 ، ص 02.

2 عبد المالك مرتاض ، نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، ص 200

3 عبد الصمد زايد ، مفهوم الزمن ودلالاته ، دط ، دار العربية للكتاب ،تونس، 1988 ، ص 7

4 عبد الملك مرتاض، المرجع السابق ، ص 201 .

5 محمد الصالح السليمان ، الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث ، ص 177 .

أن الرحلة ... تجربة شخصية تنتقل إلى الكتابة بعد الإختمار في مصهر الذات ، وتعكس رؤية الكاتب وتصوره لما حدث بعد أن وقع وإنتهى " [1] ، وكما ذكرنا أن رحلة سعد الله لا تختلف عن النصوص الرحلية في تعدد مستويات الزمن ، ما بين زمن داخلي متعلق بأحداث الرحلة، وبترتيبها داخل النص ، وزمن خارجي يتعلق بالتأليف وتدوين الرحلة .

1-2- زمن الرحلة :

تعرف الرحلات في أنها " لا تستطيع في أغلب حالات قراءتها تحقيق الإيهام بالحضور و الفورية ، وهي تقترب في هذا الشأن من السيرة الذاتية ، في أنهما ضاربتان في الزمن ، روايتهما للأحداث تكون بصفة رجعية ، كما تظهر المسافة بوضوح بين زمن أحداث الرحلة الفعلية ، وزمن الراوي الفعلي ، وزمن تسجيله لتلك الأحداث " [2] ، ويتضمن زمن الرحلة غالبا ، زمن الإنطلاق أو بداية السفر بعد التحضير له ، وإعداد العدة اللازمة لهذه الرحلة ، ويحوي أكبر قسم من زمن الرحلة كل أحداث التنقل ، وممارسته الأعمال اليومية ، وكذلك الأحداث المصاحبة لها، الممثلة لجانب الجدية ، الفجائية و الطرافة والخوف والغرابة في بعض الحالات ، كما نضم إلى هذا الجانب الزمن النفسي الذي عايشه الرحالة ، وأدركه خلال رحلته ، من رغبة في العودة ، أو فرح أو حزن إعتراه تجاه مواقف خاصة ، أو شوق أحس به تجاه وطنه بعد طول فراق ، أو لحضات تأمل وتفكير وجد الرحالة نفسه فيها ، وإرتاح لها ، وذكرته بمواقف قد حدثت له... وغيرها من الأحاسيس الإنسانية المتمثلة في نفس الرحالة ، الذي يعايش تجربة الرحلة بكل ما تحمله من تفاصيل ، ويقصد في هذا الاطار كل تلك الأفكار ، والتأملات، والآمال والمطامح التي ترتبط بالزمن الخارجي لأحداث الرحلة ، وينتهي زمن الرحلة بالحدث الأخير ، وهو الوصول إلى المكان الأول المنطلق منه نحو الأمكنة الأخرى ولقاء

---

1 إسماعيل زردومي ، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم (أطروحة دكتوراه دولة) ، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة باتنة ، إشراف عبد الله العشي ، 2004 /2005 ، ص 15 (522 صفحة).

2 أ . أ . مندلاو ، الزمن والرواية ، تر : بكر عباس ، مراجعة احسان عباس ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1997، ص 126.

الأهل والأحباب ، وما يرافقه من تحية وتهنئة بالعودة ، فنجد أن بعض الرحلات الجزائرية تمثل النموذج الأكمل المعين بدقة لزمن الرحلة المؤلفة من البداية والوسط والنهاية (الإنطلاق ، المسير ، الوصول) ونجد في غيرها ما يظل زمن الرحلة بأحداثه غير مكتملة العناصر

1-2-1- زمن الانطلاق :

يعد البداية في أي رحلة ، والإنطلاق في السفر أو الرحلة وهو إفتتاحية السرد ، وهو يجيب القارئ عن تساؤلات جوهرية أهمها : أين ؟ ومتى ؟ وماذا ؟ ولماذا ؟، وهي بذلك تحدد هوية الرحلة ، والفاعل للرحلة ، وأسباب الرحلة ودوافعها ، والمكان المنطلق منه ، والزمن المرتبط بالإنطلاق ، المحدد في أغلب الأحيان في الرحلات ، عن طريق تعيين اليوم والشهر والسنة ، ووقت الشروع في الرحلة ، وقد لا يذكر كل هذه التفاصيل ، في حالات نادرة ، كما يضاف إلى التاريخ ، تفاصيل أخرى عن الزمن النفسي المتصل بالرحالة ، الذي يختلف من موقف إلى آخر ، ومن مرحلة حياتية إلى أخرى ، وكذلك هو مرتبط بما يعيشه الرحالة أو يتذكره .

يظهر زمن الإنطلاق في رحلة أبي القاسم سعد الله ، واضحا معيَّنا (باليوم والشهر والسنة) ، ومحدَّدًا تحديدا كرونولوجيا لزمن الرحلة نحو المغرب ، وما تلاه من أحداث أثناء وجوده بالمطار ، وفي ذلك يقول :" زرت المغرب لأول مرة خلال الصيف الماضي (من 29 يوليو إلى 19 أغسطس 1973) ... ، وقد إستغرقت الرحلة على طائرة البوينغ التونسية ، بين مطار الدار البيضاء بالجزائر ومطار النواصر بالمغرب ، ساعة وربعا ، وكانت الطائرة قد حلقت بنا فوق سحب كثيفة أخذت في الإنقشاع كلما توغلنا في اتجاه الغرب ، وكانت تطير بمحاذاة البحر ، ثم حوالي منتصف الطريق إنحرفت إلى اليسار وتعمقت في المناطق الداخلية بالمغرب ، وكانت الساعة تشير إلى السادسة والربع عندما أعلنت المضيفة التونسية بصوت رخيم أن الطائرة ستبدأ في الهبوط ... ولم تستغرق الإجراءات في مطار النواصر سوى بضع دقائق ، وعندما إقتربت من مفتش

الحقائب سألني من أين ، فقلت من الجزائر ، فقال بِودْ : أهلا وسهلا ، تفضل ! مشيرا بيده الى الباب " .[1]

لقد عبَّر سعد الله عن الأفكار والتأملات التي أخذت مكانها في بداية الرحلة ، متجلية في أحاسيس ذاتية تتردد بين ماضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ ، وترتبط بزمن الرحلة وتستمر إلى حاضر ومستقبل التدوين ، والملاحظ في الإفتتاحية الفعلية للسفر، غياب إفتتاحية الرحلة المدونة (إستخدام تقنية الحوار) ، وهو من ميزات الحضور الكامل لزمان الرحلة ، كما سبق وأن ذكرنا ، ويحيل إلى معايشة القارئ للزمن ولأحداث الرحلة ، وكأنها تجري في حاضره ، لأن الحوار يسمح بحركة الشخصيات أمام القارئ وهو من احدى الطرائق التي تشجع خيال القارئ على التَّيْهِ في الزمن .

ولعل ما يوحي إلى سرعة السرد للأحداث ، تلك التسهيلات التي لقيها الرحالة في المطار عكس ما لقيه في رحلته إلى الجزيرة العربية السعودية ، وهذه التسهيلات إنعكست عليه إيجابا ، جعله يقرب هذا الموقف للقارئ ليكون أكثر تعبيرا وتأيرا فيه ، والملاحظ أن سعد الله لم يغفل عند ذكر الوقت الذي إستغرقته الرحلة المقدر بـ " ساعة وربع " [2] .
فيوحي تحديه لهذا الزمن الدقيق ، إلى قصر المسافة الزمنية بين الرحلة والتأليف .

1-2-2- زمن المَسِير :

وهو القسم الثاني المكون للرحلة فهو " الخاص بمرحلة المسير عند الرحالة نحو مكان الرحلة ، والوصول والبقاء فيه إلى حين الرجوع منه ، ويختص الوصول بأهمية قصوى لدى الرحالة ، لما له من مجال لتحقيق المرغوب من السفر ، وتحقيق آفاق المعاينة والمشاهدة ، والإتصال بالآخر ، يتشعب في أجوائه ليتعلق بما هو ديني ، وروحي ، وعلمي ، وإجتماعي " [3] وسرد المسير كثيرا ما يتضمن في الرحلات بنيات حكائية مليئة بالحركة ، وحافلة بالمغامرة ، فهو أكثر الأقسام إستغراقا للزمن ، وذلك

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الادب والرحلة ، ص ص 205 – 206 .
2 المصدر نفسه ، ص 206.
3 شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي ، ص 234 .

للتطلع إلى الوصول ، في محاولة للإسراع لتحقيق الهدف ، ويضع هذا القسم مرحلة الذهاب إلى المغرب والمكوث بها ، والتوقف عن السرد دون ذكر الإياب .

تمثلت الأحداث في رحلة سعد الله إلى المغرب ، بتحديد الزمن فيها ، لإعتناء الرحالة به ، وقد دامت رحلته عشرون يوما قسمها إلى مراحل :

المرحلة الأولى : مرحلة الإقلاع من الجزائر إلى (مطار النواصر) بالدار البيضاء المغربية .

المرحلة الثانية : خصت فترة تواجد الرحالة بالرباط .

المرحلة الثالثة : كانت تستغرق مدة زياراته للدار البيضاء وبعض المدن المغربية الأخرى كمدينة سلا .

وبدأ سعد الله سرد أحداث سيره من الدار البيضاء في إتجاه الرباط في قوله : "... وكانت الساعة تشير إلى الثامنة ونصف عندما تحركت السيارة من الدار البيضاء في إتجاه الرباط .

وقد سقط الليل . وبدأت أنوار المدينة تتلألأ ، ... وقد قطعنا المسافة في حوالي ساعة ونصف " [1]، في هذا المقطع النصي يظهر لنا طابع الكتابة السيرية والرحلة ، من خلال إعتناء الرحالة بالتواريخ و الأحداث ، فمن صياغة الماضي ، التي تعم النص بكامله ، تتجسد السرعة الكبيرة في تتالي الأفعال الإخبارية والتقريرية .

ومن أحداث الزيارات والمشاهدات التي حملتها رحلة الكاتب ما قاله في ما رآه : " فخرجت أتجول وحدي في إتجاه جامع السنة (ولم أكن قد وصلته ولا عرفته في تلك الليلة) .

وكان بصري لا يكاد يقع على الأرض ، فقد كان معلقا في اللافتات وأسماء الشوارع والبنايات والأضواء الباهرة " ... ، وكان طقس الرباط أكثر لطافا من جو عاصمة الجزائر الرطب ، وتتخلل الأنفاس نسمات منعشة يرسلها بحر الظلمات فتكسر من حدة

1 أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص ص 207-208.

لفح سموم الصحراء المترامية ، يضاف الى ذلك روائح الطيب المرسلة من الحدائق والبساتين التي تمتلأ بها مدينة الرباط " [1]

فيظهر لنا من خلال هذا النص الأماكن التي زارها الرحالة وانبهر بشوارعها وبناياتها وحتى الجو اللطيف الذي كان يعمها ، وكذلك من الأحداث أو الزيارات والمشاهدات التي شاهدها ما أوجزه فيما رآه في قوله : " وقد إعتدت أن أتجول في المدينة مساءا بعد عناء النهار جلبا لراحة عيني ... وفي احدى الجولات عرج بي الجراري بسيارته على الأحياء الهامة من مدينة الرباط ... وفي أحد الأيام خرجت مع الأخ شحلان نتجول "[2] وما نلاحظ في هذه النصوص تضاؤل الإشارة الزمنية من تحديد اليوم أو الشهر أو المدة ، التي يقدرها القارئ إعتمادا على ما وجد من تحديد في النص الرحلي .

وتأتي تقنية أخرى نستطيع أن نقول أنها تقنية ثانية ، يتم فيها ذكر أو تحديد عدد الأيام أو المدة ، كذكر يوم الخروج والدخول ، وربما كان هذا الامر ، تخفيفا من آلية التعيين لكل حدث ، وتنويعا في أساليب التأريخ ، غير أن معرفة الزمن المقصود من طرف الرحالة ليس بالأمر المستحيل على القارئ المتمعن لنص الرحلة في قراءته ، ومن أمثلة هذا التحديد الزمني قوله : " وفي الصباح خرجت حوالي الساعة السادسة والنصف من الفندق وشرعت في التجوال ... ، وعندما فتحت المدينة أبوابها على الساعة الثامنة توجهت إلى الخزانة العامة (المكتبة الوطنية) ... ، ومع ذلك التقيت بعدد من المغاربة والجزائريين هناك بطريق الصدفة . من هؤلاء الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني ... التقيت به عند خروجنا من المكتبة منتصف النهار . "[3]

فالمتمعن لنص الرحلة يلاحظ أن خروج الرحالة في الصباح للتجوال كان في اليوم الثاني من وصوله إلى الرباط ، أما في حديثه عن زيارته إلى الخزانة العامة (المكتبة الوطنية) فقد كان في اليوم الثالث من وصوله للرباط .

---

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، ص 208 .

2 المصدر نفسه ، ص ص ص 214 – 219 – 228 .

3 المصدر نفسه ، ص ص 203 – 209.

أما الأسلوب الثالث أو التقنية الثالثة ، وهي التأطير الموهم بالزمن ، والتحديد الغامض في قوله : "إعتدت أن أتجول ... أو في إحدى الجولات ... أو في إحدى الأيام ونذكر على سبيل المثال قوله : " وفي إحدى الجولات عرج بي صديقي الجراري بسيارته على الأحياء الهامة من مدينة الرباط ، ومن هذه الاحياء باب شالة ... " [1] .

وهذا الزمن يكون في حالات قليلة ، وهي للقارئ المتمعن المجتهد فهو يستطيع معرفة مقدار الزمن فيها ، وهذا يعد من المجالات التي يتركها المؤلف للقارئ لاكمالها ، والداعي من هذا الغموض النسبي في الزمن هو التنويع لا الإبهام ، والخروج عن أسلوب التأريخ ، لأن الكاتب يأخذ القارئ إلى تتبع مراحل السفر ، ومدة التنقل ، ثم مدة الإقامة ، لإكتشاف المدة الزمنية ، فهو بهذا يحفز القارئ ويترك له مجالا ليطرح أفكاره ويدلي بآرائه وإستنتاجاته خاصة وأن هذا الزمن يحوي انشغالا كبيرا ، لما يراه الرحالة ، وما يكتشفه من جديد أعجبه وأثار فضوله ، لأن المراد قد حصل و الوصول الى المغرب قد تحقق.

والمتأمل في نص الرحلة ، يلاحظ أن أغلب المقاطع السردية ، قد وردت في الزمن الماضي ، مسبوقة بجمل فعلية منسوبة تارة إلى الضمير المتكلم وتارة أخرى إلى الضمير الجمعي ونجده في مواضع لا يهتم بالزمن بقدر ما يهتم بوصف الأحداث من ذلك قوله : " وفي الصباح خرجت حوالي الساعة السادسة والنصف من الفندق ، وشرعت في التجوال في الجزء الأعلى من شارع محمد الخامس ... وقد خرجنا ذات مساء نتجول وإتجهنا نحو صومعة حسان الشهيرة ، وضريح محمد الخامس " [2] ، كما نلاحظ الرحالة مرات يذكر الزمن أو يحدد بالتفصيل مثل قوله : " ... وكان يوم 13 أوت 1973 . يوما مليئا بالتجارب إنه يوم الدار البيضاء " [3]

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، ص 219.

2 المصدر نفسه ، ص ص 208 – 226 .

3 المصدر نفسه ، ص 226 .

ومن الأمثلة التي توضح ، إهتمام الرحالة بالحدث والظاهرة قوله : " ... سرنا في طريق معبد حتى وصلنا (الوداية) وساحتها الكبيرة ، ودخلنا من باب في هذا السور فوجدنا أنفسنا داخل حديقة غناء " [1]

1-2-3- زمن الوصول :

عرفنا أن عددا من الرحلات تتوفر على هذه التيمة النصية في فن الرحلة وبالتالي تجلى زمن الوصول إلى المنطلق ، أو إلى الوطن وسنتناول نهاية هذه الرحلة والشروع في العودة والملاحظ أنه ذكر اليوم الذي تنتهي فيه رحلته (19 أغسطس 1973) ، فلم نجد في نصه أحداث الوصول ، والتقى المؤلف في عجالة بذكر أهم المعالم الأثرية ووصف الأمكنة و التعرف على المخطوطات التي وقعت عليها عينه ودليل ذلك قوله : " وفي مساء نفس اليوم إقتضتني جاذبية مدينة سلا ... وعبرنا إليها قنطرة حديثة فوق وادي بورقراق تربط بينها وبين العاصمة ، ... ودخلت المدينة العتيقة فلاحظت فرقا واضحا بينها وبين مدينة الرباط في المستوى الاجتماعي . وتجولت في سوقها الضيق المليء بالبضائع المتنوعة " [2] ، وفي حديثه عن المخطوطات التي أعجبته وإطلع عليها ذكر : " ومن الكتب المخطوطة التي لفتت انتباهي دون أن تكون هدف أساسيا لبحثي كتاب (فيض العباب وأفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب) لإبراهيم بن أبي عبد الله النميري ... وهناك كتاب في مخطوط ضخم بعنوان(تحبير السياسة في تدبير الرياسة ويسمى أيضا(بدائع السلك في طبائع الملك) تأليف العالم المؤرخ محمد بن علي الأزرق ... " [3]

فهكذا كانت نهاية رحلة سعد الله ، حيث أنه توقف عن السرد مباشرة دون أن يعرف أو يُذكر بأحداث الرجعة الى الوطن .

---

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، ص 228 .

2 المصدر نفسه ، ص 229.

3 المرجع نفسه ، ص ص 231 - 232 .

1-3- زمن التأليف :

يتألف زمن التأليف من الأحداث المراهنة لحاضر الكتابة الواقع بهد الإنتهاء من الرحلة*.

فيترك هذا الزمن للرحالة القيام بوظائف التنسيق ، والتعليق ، والمقارنة ، وشرح الأحداث ، التي تجعل من الرحالة كراو للرحلة ، لا كمنجز لها ، ويظهر لنا زمن التأليف في رحلة أبو القاسم سعد الله في كل من الافتتاحية والعرض وفي خاتمة السرد .

1-3- 1- الإفتتاحية :

تشكل الإفتتاحية خطابا ، يتضمن مهمة التمهيد ، والتأطير التي تعمل على إضاءة بعض جوانب النص ، وتقريب طبيعة هذا الجنس من المتلقي وتوجيهه لإستقبال ما سيلقى عليه لاحقا ، إضافة إلى ذلك تتضمن رؤية المؤلف ووعيه بهذا اللون الأدبي (الرحلة) ومالها من خصائص و مميزات وأسلوب في الكتابة ، وهذه الرؤية لا تظهر في النص الرحلي فحسب ، وإنما تتجلى في فعل الكتابة ، " فلا يخلو أي نص رحلي من إفتتاحية أو مقدمة فهي قطعة أساسية من النص السردي الرحلي " [1] .

وغالبا ما تكتب الإفتتاحية بعد الإنتهاء من تدوين نص الرحلة ، كما أنها تحمل عناصر تسبق زمنيا النص ، وتسعى إلى الإقناع ، والدفاع عن النص والفكرة ، وعن النوع الأدبي الذي تناوله الأدب ، كما يعرف المؤلف فيها دوافع السفر وأهدافه ، ويُتبعه يحافز التدوين لما عايشه أثناء السفر ، ويقدم الرحلة بسرد الإستعدادات المادية والنفسية التي تسبق الرحلة ، وهذا يدخل في جانب التقديم والإفتتاح للرحلة ، فتأتي الافتتاحية بضمير المتكلم .

وتتألف إفتتاحية سعد الله من مقدمتين :

الأولى : لكتابه تجارب في الأدب والرحلة ذكر فيها فصول كتابه ، الذي ضم مجموعة من التجارب في الأدب والنقد ، والقصة والشعر و آراء في الحركة النقدية في الجزائر

* ليس المقصود لحضات التدوين التي يخبر عنها الكاتب في أولها ، لأنه يتزامن مع أحداث الرحلة الفعلية .

1 شعيب خليفي، الرحلة في الاب العربي ، ص 184 .

والمغرب العربي والوطن العربي ككل ، كما ضم أخبار رحلاته إلى المغرب وإلى الجزيرة العربية ، وما يهمنا في بحثنا ، مقدمته الثانية التي دلت على الرحلة وتوجهها (رحلته الى المغرب) والتي يقول فيها : " وأقل من القليل أولئك الذين إتجهوا منهم نحو المغرب بدل المشرق . وإذا كان القرن الثامن عشر الميلادي قد ترك لنا رحلتين جزائريتين نحو المشرق ،رحلة ابن عمار ورحلة الورتلاني ، فانه قد ترك لنا أيضا رحلة يتيمة نحو المغرب وهي رحلة ابن حمادوش التي أقوم بتحقيقها ، وليس إبن حمادوش هو أول جزائري يتوجه الى المغرب ، فقد سبقه كثيرون كإبن قنفذ والونشريسي ، والمقري ولحقه كثيرون كالأمير عبد القادر والمشرفي ، ولكنه أول جزائري حسب علمنا ترك لنا وصفا دقيقا لمدن تطوان ومكناس وفاس وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية خلال القرن الثامن عشر ، وتعقبا لآثار هؤلاء وإضرابهم ذهبتُ إلى المغرب الصيف الماضي " [1] تظهر لنا هذه المقدمة وعي الرحالة بنوعية الأدب الذي يكتب فيه فذكر أشهر الرحالة الذين إقتدى بهم في كتابة أحداث رحلته إلى المغرب ، ويبدو أن الزمن خارج عن زمن الرحلة ، إلا أنه إتصل إتصالا وثيقا بالكاتب الرحالة ، ونلاحظ في هذا النص أيضا تأطيرا ذاتيا صريحا ، حتى يوثق النص ، ويحفظ الزمن نسبة الكتاب أو النص إليه من خلال قوله : (ذهبت إلى المغرب خلال الصيف الماضي) . وهذا النوع من التأطير نجده في الكتب التاريخية ، والسِيَرْ والكتب الدينية

ومن المقاطع التي تعرفنا على هذا الزمن قوله : " وقد سجلت أثناء رحلتي كعادتي في كل بلد أزوره ، يوميات صببت فيها مشاعري ومشاهداتي وقراءاتي ولقاءاتي ، صبا عفويا لا تنسيق فيه ولا تفنن ، وعند عودتي الى الجزائر نظرت في هذه اليوميات فوجدت فيها ما يصلح للنشر الآن وما لا يصلح للنشر إلا بعد إنقضاء جيل ، ... وقد ذكرت في آخر هذا العرض بعض أسماء المخطوطات التي لم تكن تهمني مباشرة لأني

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، ص 204.

أعرف أنها تهم بعض الباحثين في المغرب العربي والمشرق ، أما إطلاعاتي ، وقراءاتي في المخطوطات الجزائرية فإنني لم أذكرها الآن مؤملا أن أفرد لها دراسة خاصة قريبا [1]

وتمثل عبارة " وقد سجلت " في هذا النص ، زمن الكاتب الذي يؤدي دور التقييد و التسجيل ، والإخبار والنسج وفق إختيارات شخصية ، فتدخل مهمة التسجيل لديه في وعيه لجنس الرحلة ، وطبيعة التأليف ، فيه كما نلمس سمو شخصيته وكرمه والتفكير في غيره من الباحثين من خلال عرضه لبعض المخطوطات التي لا تهمه ولكنها تهم بعض الباحثين من المشرق والمغرب ، ومن خلال هذا المقطع يظهر لنا أيضا أن زمن التأليف في الرحلة قد ورد في افتتاحية الكاتب والذي كان بعد عودته الجزائر.

ويذكر الكاتب في افتتاحيته أيضا ، الفوائد التي نتجت عن قيامه بالرحلة " ولا أكتم نفسي عن أن الرحلة كانت فائدة عظيمة لي ، إذ لم أجمع فقط خلالها مادة جديدة نادرة لكتابي " تاريخ الجزائر الثقافي " فقط ... شاهدت في جولاتي أشياء كثيرة انتزعت اعجابي".[2]

إذ يشير في هذا المقطع الى الفائدة العظيمة التي صاحبت الرحلة من زيارات لأماكن مكنته من أن يتعرف على أحوال المغرب ثقافيا و اجتماعيا .

ويختتم مقدمته ، بالإشارة الى حريته في تقييد الأحداث ، والمناسبات الثقافية حيث قال : " وقد كتبت بحرية مطلقة كما استخلصت هذا العرض بحرية مطلقة إذ لم أكن مدينا بالولاء لأحد ". [3]

1-3-2- العرض :

يتضمن قسم العرض ، لأحداث الرحلات ، بعض من زمن التأليف ، وإن كان إستخراجه أصعب مما في الإفتتاحية ، لإختلاف الأزمنة وتداخلها في النص الرحلي مع زمن الكتابة ، وقد إستخدم سعد الله بعض الأساليب السردية التي تدل على زمن التأليف

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، ص 204.

2 المصدر نفسه ، ص ص 204 – 205

3 المصدر نفسه ، ص 205 .

خلال العرض في قوله : "... لعلي لو تماديت في ذكر ما دار في هذا الإجتماع لسال القلم مدرارا ، إسودت الصحائف أخبارا ، فلأقف عند هذا الحد ، مسجلا في نفس الوقت إمتناني وعرفاني لآل الجراري الكرام " [1] .

وفي هذا المقطع يؤكد المؤلف تقييده للإجتماع الذي دار بينه وبين عائلة الجراري، دون التفصيل في أحداثه ، وهذا المقطع يخص زمن التأليف لا زمن الرحلة.

ومن العبارات التنسيقية التي يتضح الكلام فيها على لسان الكتاب لا الرحالة قوله أيضا : " لعلي لو ذكرت هنا كل ما وقعت عليه عيناي من كتب الرحلات والتاريخ و الآداب خلال رحلتي لأثقلت على القارئ ... " [2] ، يحيلنا هذا المقطع السردي إلى موقع الكاتب ، حين تأليفه للرحلة بعيدا مكانيا وزمانيا عن مكان الرحلة وعن زمانها .

1-3-3- الخاتمة :

إختتم سعد الله تدوين رحلته بالتوقف عن السرد ، وهذا لعجزه عن تقييد كل الأحداث في آن واحد ، فلا وجود للفظ " الخاتمة " في نصه الرحلي وما يوضح ذلك : " وحسبي هذه العجالة ، أما ما طالعته أو قيدته عن الجزائر بأقلام جزائريين فحدِّث عن البحر ولا حرج ، وهو بيت القصيد من كل الرحلة . ولعلي أقدمه في مناسبة أخرى " [3] ، يتعلق ضمير المتكلم في هذا النص ، بالمؤلف الذي يزجي الألفاض والعبارات لتوصل بالمعنى إلى القارئ ، فنجده في الأخير يبين إستكمال مجريات رحلته في أوقات لاحقة ، لذا يمكن عد النهاية إلتي إهتدى إليها الكاتب ، من النهايات المفتوحة في الروايات والقصص ، حيث تترك المجال للقارئ ، ليملأ ما يشاء من أحداث وتبعات ، فيحل زمن القراءة ، زمن الأحداث ، أو زمن التأليف .

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة، ص 225 .

2 المصدر نفسه ، ص 234 .

3 المصدر نفسه، ص 234.

كما نلاحظ في آخر الرحلة تاريخا يبين يوم إنتهاء التدوين ، والمقدر بحوالي شهرين ونصف ، بعد الرجوع إلى الجزائر ، فهذه الفترة جعلت المؤلف يقدم إلينا نصا ثريا في محتواه .

2- بنية الشخصية :

2-1- مفهوم الشخصية :

إعتمد مؤلفوا الرحلة في تصوير الشخصية ، على الأساليب التعبيرية المباشرة المفصِحة عن صفاتهم وخصائصهم النفسية والفكرية ، كما تجلت ملامح عنها خلال عرض الأحداث ، وسرد الأفعال التي أنجزوها ، ومجمل الأقوال ، والمواقف الصادرة عنهم ، بينما أُغفل جانب تحديد الصفات الجسمانية للرحالين ، ولم يظهر بصريح العبارة، ويستطيع كل متمعن في نصوص الرحلات الجزائرية ، أن يلمس خصائص نفسية وفكرية تمتع بها الرحالون ، وهذا دون أن يعدم ملاحظة الفروق ، والإختلافات بين الرحالين ، وقد " كانت الدراسات الخاصة بالرواية تخضع خضوعا كاملا للشخصية ، ثم صارت لا تحفل بها إطلاقا كردة فعل على الحضارة البالغة بالدراسات السيكولوجية ، لهذا كانت مقولة الشخصية غامضة على حد بعيد في الدراسات السردية المعاصرة ، فهي تتراوح بين كونها علامة من بين العلامات الأخرى يجري عليها ما يجري على العلامة " [1] .

فالشخصيات ليست كائنات بشرية بالمعنى الحرفي للكلمة فهي مصاغة في جزء ما على غرار تصور القارئ للناس.

أ – لغة :

يعرف إبن منظور الشخصية في لسان العرب بقوله : " شخص : الشخص هو كل جسم له إرتفاع وظهور ، وجمعه أشخاص وشخوص وشِخاص ، وشخصّ تعني إرتفع ، والشخوص ضد الهبوط..."[2].

1 وائل بركات ، مفهومات في بنية النص ، ط1 ، دار مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1996 ، ص 98 .

2 ابن منضور ، لسان العرب ، م 7 ، ص 36 .

أما في معجم الوسيط فهي تعني : " الصفات التي تميز الشخص عن غيره ، مما يقال : معه فلان لا شخصية له : أي ليس له ما يميزه من الصفات الخاصة " [1]

ب- اصطلاحا :

يعتبر " فيليب هامون " من أهم المنظرين السيميائيين الذين إهتموا بهذا المكون الروائي فالشخصية عنده أقرب إلى اللسانيات ، إذ تحددها وفق منطلقات لسانية بحتة وتعتبرها علامة تتقاطع في أمور كثيرة مع العلامات اللسانية كونها دلا ومدلولا ، ومن ثم تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها هذه الأخيرة " [2].

كما يرى " فيليب هامون " أنه " يمكن التعامل مع الشخصية بإعتبارها مورفيما فارغا ، أي بياضا دلاليا .

وهي بذلك لا تحيل إلا على نفسها . وهو ما يعني أنها ليست معطى قبليا و كليا وجاهزا، إنها تحتاج إلى بناء ، بناء يقوم بإنجازه النص لحظة " التوليد" ، وتقوم به الذات المستهلكة للنصر لحظة " التأويل " .[3]

كما صنف " فيليب هامون " الشخصيات إلى ثلاثة فئات :

أ – الشخصيات المرجعية : وتضم الشخصيات التاريخية والإجتماعية والأسطورية والمجازية .

ب – الشخصيات الإشارية : وتكون علامة على حضور المؤلف والقارئ أو من ينوب عنها في الشخص .

1 إبرهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، المعجم الوسيط ، ج 1 ، مطبعة مصر ، 1960 ، ص 428 .

2 بشير عبد العالي ، تحليل الخطاب السردي والشعري ، دط ، دار الغرب ، الجزائر ، 2002 ، ص ص 53- 54.

3 فيليب هامون ، سيميولوجية الشخصيات الروائية ، تر : سعيد بنكَراد ، دط ، دار الكلام ، 1990 ، ص 7.

ج – الشخصيات الإستذكارية : فيكمن دورها في ربط أجزاء العمل السردي بعضها ببعض"[1]،" فالشخصيات تنسج داخل الملفوظ شبكة من الإستدعاءات والإستذكارات بمقاطع من الملفوظ وذات طول متفاوت " [2].

فالشخصيات الرحلية ليست " شخصا شبحيا يمتلك صفات كل الأشخاص إلا وجود البدني " [3]، بل هي شخص حقيقي في الواقع ويتمتع بسيرته الذاتية الخاصة به ، منها رحلته ، وما نمتلكه عن هذه الشخصية مجموعة من الملفوظات التي تعيننا على التخيل الواقعي الفعلي في شكل لا نجزم أنه يقترب من الحقيقة .

وبالتالي " ينحصر عمل كاتب الرحلة في كيفية تقديم الشخصيات وتصويرها من خلال أفعالها و أقوالها ووصفها من الخارج ومن الداخل ، وفي تقديم الكُتَّاب لذواتهم وهي تتحرك وتتكلم ، وهي تفكر وتنفعل وتتأثر " [4] ، فنجد الشخصية هي التي تتعامل مع الأشياء و الأحداث ، وهي التي تنشئ الأقوال أو تتقلها والكل في الرحلة لا يقوم إلا من خلالها ، ولذا كانت الشخصية " ... .

مقولة لسانية لتشكيل خطاب الملفوظ " [5] ، وعليها وبها يقوم بناء الرحلة .

2-2- شخصية الذات الفاعلة للرحلة :

إستعان سعد الله في معرض تقديمه معارف عن الذات بجملة من الأساليب والوسائل المتنوعة كالسرد الذي يعد من أهم الوسائل التي يعتمدها الكاتب لنقل الأحداث والوقائع وكذا الأقوال والأفعال والوصف الذي " يعتبر من المكونات الأساسية في النص

---

1 فيليب هامون ، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص 7 ، (بتصرف).

2 حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصيات ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1990 ، ص 217.

3 شلوميت ريمون كنعان ، الشعرية المعاصرة في التخييل القصصي ، تر : لحسن أسامة ، ط1 ، دارالثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، 1992 ، ص 57.

4 سميرة أنساعد، الرحلة الى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية ، د ط ، دار الهدى ، الجزائر ، 2009 ، ص 117.

5 عبد القادر الشاوي ، الكتابة والوجود ، السيرة الذاتية في المغرب ، دط ، إفريقيا الشرق ، المغرب / لبنان ، 1999، ص 51 .

الرحلي و أساسا في مجال تشكيل الصورة التي تساعد على فهم آليات رسم صورة الآخر والأنا " [1]

وتتجلى لنا بعض صفاته وخصائصه المعنوية والفكرية ، أما الجسمانية فلم تظهر في نصه الرحلي ، وقد بدا لنا في دراستنا لهذه الشخصية أنها شخصية رئيسية إحتلت مساحة كبيرة في النص الرحلي ، وهي شخصية فاعلة سواء من خلال تأثيرها بنسبة ما في مجريات الأحداث أو من خلال علاقتها بالشخصيات الأخرى ومدى تفاعلها بها .

تظهر شخصية أبو القاسم سعد الله في الرحلة شخصية باحثة مثقفة ، تتمتع بقدرة علمية كبيرة ، ولعل ما يؤكد ذلك زياراته المتكررة لمكتبات المغرب ، ولقائه العديد من الأساتذة ، ورؤيته للباحثين أمثال المؤرخ المصري (عبد الله عنان) حيث يقول عن ذلك " ... توجهت إلى الخزانة العامة (المكتبة الوطنية) بحثا عن المخطوطات التي جئت من أجلها ... كنت حريصا أثناء إقامتي بالمغرب على توفير كل وقتي للبحث الذي جئت من أجله. [2]

وتبرز شخصية الرحال الباحثة في إهتمامه بالمخطوطات والتنقيب عنها في المكتبة العامة وما يؤكد ذلك قوله : " منذ ذلك اليوم بدأت أطلب المخطوطات الجزائرية التي منها هناك ثروة لا تقدر بثمن ، وكنت أعرف أسماء بعض هذه المخطوطات من قبل كما أعرف أرقامها في الخزانة ، ولكن بعضها قد إكتشفته بعد ممارسة للبطاقات ، والتعرف على ما تحتويه المكتبة من ذخائر ونوادر " [3]

ويلاحظ قارئ الرحلة أن شخصية سعد الله لها دراية بالكتب القيمة وما يدل على ذلك " ... ودخلت أتصفح بعض الكتب فوجدت نسخة مجلدة سليمة من كتاب (تحفة الزائر) للأمير محمد باشا في طبعته الأولى 1903 م ". [4]

---

1 شعيب حليفي ، الرحلة في الأدب العربي ، ص 302.

2 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، ص 209 .

3 المصدر نفسة ، ص 209 .

4 المصدر نفسه ، ص 214 .

وما يبرز أيضا مكانته العلمية لقاءاته المتكررة بالأساتذة والباحثين في المكتبات بالمغرب مثل الكتاني " ... وقد أهداني الكتاب بعض أعماله الأخير منها :

1) " أبو عبد الله بن الناصف ، المجتهد المغربي ، فصلة من (مجلة الباحث) عدد 2 ، 1972م ، ص ، 72 .

2) العثور على الورقات الأخيرة من كتاب (البيان المغرب) لإبن عذاري المراكشي ، فصله من (مجلة تطورات) عدد 10 ، 1965 ، ص : 237 – 244 .

3) وسلفية الإمام مالك ، دراسة في 39 صفحة (دون ذكر مكان طبعها ولا تاريخ ...".[1]

وفي لقاء آخر مع نفس الباحث الذي أطلعه " على نسخة من رسالة كان المرحوم الإبراهيمي ، قد أرسلها إليه سنة 1936 ... كما أطلعني على مشروع دراسة عن الشيخ لإبن باديس". [2]

ومن الشخصيات التي تعرف عليها الرحالة ، الأستاذ محمد حجي فذكر ذلك في قوله " وتحدثنا عن مستوى الثقافة في المغرب العربي عهد العثمانيين وسألته عن كتاب العكازيين الذي ألفه الفلسطيني خلال القرن السادس عشر والذي جئت للبحث عنه في المغرب " [3]

وتبرز سمة الباحث الرحال في شخصية سعد الله في زياراته للباحثين ونقاشه معهم في مواضيع مختلفة ويبرز ذلك في قوله : " رافقني صديقي الجراري مرة لزيارة الأستاذ محمد بن عبد الله مدير مجلة (دعوة الحق) وقد وجدته راجعا لتوه من الجزائر بعد أن حضر الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي ... ودار الحديث حول أهداف الملتقى المذكور وتكاليفه ، وتطرق إلى الحياة الثقافية في الجزائر وفي المغرب " [4] .

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، ص 210.

2 المصدر نفسه ، ص 211.

3 المصدر نفسه ، ص 212.

4 المصدر نفسه ، ص 221.

كما ظهرت الذات الراحلة كشخصية متدينة محبة للإسلام والعروبة ، متمتعة بروح القومية العالية وتمثلت في زيارة الأماكن المقدسة ، وأخذ إنطباعات عنها ، وكذا حديثه عن الفكر الإسلامي في المغرب وفي ذلك قوله : " ... وفي جامع محمد الخامس الملحق بالضريح طالب شيخ ، يقرأ القرآن بصوت عال ... إنها ذكرى خالدة وصورة رائعة وموقف يدعو إلى التأمل ... تذكرت رجال الفتح ورجال السلطة الذين خلفوهم ، تذكرت الماضي والفتح ، فإغرورقت عيناي وصمت في وجوم " . [1]

وتظهر الثقافة الدينية للرحالة في زيارته لضريح محمد الخامس " ... ويشهد الأثر القديم لضريح محمد الخامس ، عظة الإسلام وأصالة العروبة في ربوع المغربية ". [2]

كما نجد الرحالة أيضا شخصية إجتماعية، وتصف أحوال الناس والمجتمعات المغربية ودورها في الحياة ، ويظهر ذلك في قوله : " ومررنا بخانات عتيقة يسمونها (التربيعة) ، حيث كان يجلس المغاربة كما في العهود السالفة يشربون القهوة أو الشاي ويلعبون الورق ... ويلاحظ المرء وفرة البضائع وتنوعها ورخصها في المغرب ، كما يلاحظ رحابة صدور الباعة وتأدبهم مع المشترين " [3]

كما بدت شخصية سعد الله الاجتماعية في ملاحظاته الفرق في المستوى المعيشي بين المدينة العتيقة والرباط " ... دخلت المدينة العتيقة فلاحظت فرقا واضحا بينهما وبين مدينة الرباط في المستوى المعيشي ، وتجولت في سوقها الضيق المليء بالبضائع المتنوعة ". [4]

كما برزت شخصية الرحالة المؤرخ ، في حديثه عن المخطوطات التي إطلع عليها وقرأها ، كما يبني إنطباعا حسنا عن خطوات التعريب في المغرب ، الذي له أرضية سليمة في ندوة إستعماله اللغة الأجنبية في الشارع حيث يرعى أن " صمام الأمان لهذا

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، ص 227 .
2 المصدر نفسه ، ص 229 .
3 المصدر نفسه ، ص 215 .
4 المصدر نفسه ، ص 229 .

الإتجاه نحو التعريب يمكن في غير المثقفين على لغة وطنهم ، وتحركهم عندما تقتضي الضرورة صفا واحدا " [1] ، ويكون ذلك مناسبة على سبيل المقارنة كي يذكر الجهود السرية للفرنسيين في الجزائر ، لعرقلة التعريب ومواجهة أو محاصرة تجربته .

وفي الأخير نجد الرحالة شخصية محبة لجمال الطبيعة ، يتمتع بالمناظر الخلابة في أرجاء المغرب ، ويظهر ذلك في قوله : " وكان القمر على طوال الطريق ، يؤنسنا ، بتألقه وجماله ، وكأنه يتحدى جميع الأضواء التي نمر بها ، باقيا على تقاليده شيخ النجوم ، ورفيق العاشقين " .[2]

ومن المناظر التي أثارت إعجاب الرحالة غروب الشمس وفي ذكره لذلك يقول : " كانت الشمس قد غربت ولم يبق في الأفق إلا الشفق ، وطلع من الشرق القمر الذي أخذ يكبر ، وظهرت النجوم في السماء والمصابيح في الأرض " [3]

2-3- الشخصيات المساعدة للرحالة :

يمكن تصنيف الشخصيات المساعدة حسب علاقتها بالشخصية الرئيسية فمنها شخصيات قريبة من الرحالة ورفيقة له كأصحاب ، وشخصيات بعيدة عنه لقيهم أثناء ترحاله ، كما أن نوعية المساعدة التي تقدمها الشخصيات للرحالة قد تكون مادية أومعنوية ، " فيحضر الآخر في الرحلة متعددا ومتنوعا بتنوع النماذج البشرية في المجتمعات والعصور". [4]

وبدا واضحا في رحلة أبو القاسم سعد الله حضور العديد من الشخصيات المساعدة التي يمكن التعرف عليها أثناء السرد ، فتظهر هذه الشخصيات فرادى كما تظهر في جماعات ، وبعضها ملازمة للرحالة دائمة الحضور .

---

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، ص 231.

2 المصدر نفسه ، ص ص 223 – 224 .

3 المصدر نفسه ، 226 .

4 شعيب خليفي ، الرحلة في الأدب العربي ، ص 329 .

وقد حرص أبو القاسم سعد الله على تعيين شخصياته ، بتقديم خصائصها الفكرية وتعيين وظائفها وأسمائها ، عن طريق السرد والوصف الذي عمل على توضيح صورها .

ولعل أبرز الشخصيات المساعدة للرحالة ، نذكر الدكتور عبد الكريم ، الذي كان صديقا للرحالة ، أثناء إقامته بالمغرب ، وبرز أيضا بوظيفة خاصة لها مكانتها في سرد أحداث الرحلة ، فكانت شخصية عبد الكريم تقوم بدور المرشد الذي يهتدي به الرحالة ، في التعرف على أمكنة المغرب المتعددة ومن أمثلة ذلك قول سعد الله : " ... لم يبخل على الدكتور كريم بوقته ، فقد تجول بي في حي السويقة المليء بالخضر ... " [1]

ولم يقتصر دور كريم في إرشاد الرحالة وفقط ، بل تعداه إلى إطلاعه على المخطوطات الموجودة في مكتبات المغرب ، وأوصى عليه القائمين عليها ومن الأمثلة ، التي توضح ذلك : " ... لكن خدماته لم تنته عند ذلك الحد ، ففي صباح الغد حدثني مولاي الطاهر في المكتبة بأن الدكتور كريم قد هتف له من الوزارة وأوصاه بي خيرا " [2]

ولم تقف مساعدة كريم عند هذا الحد بل تعداها إلى تقديم كل ماله علاقة بالمخطوطات التي جاء من أجلها سعد الله ، فذكر : " وقد مكنني الدكتور كريم من عمل ثمين تقوم به الوزارة هناك وهو فهارس المخطوطات المغربية في مختلف المكتبات بالبلاد ... وقد أطلعني أيضا على نسخة من فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأسكريال (مدريد) وهي في ثلاثة أجزاء ... وذكر لي بأنه يعمل الآن على إعداد فهرس لمصادر تاريخ المغرب ". [3]

أما شخصية عباس الجراري فتظهر على مستوى السرد كشخصية تعيين الرحالة ، في تعريفه على الأحوال الثقافية والاجتماعية للمغرب"... أتاح لي الدكتور الجراري

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، ص 215 .

2 المصدر نفسه ، ص 215 .

3 المصدر نفسه ، ص ص 216 – 217 .

التعرف على نواحي كثيرة من المغرب الثقافي والإجتماعي بل أنه بكرمه وعلمه سهل مهمتي ووفر علي كثيرا من الأتعاب " . [1]

وتظهر كذلك مساعدة الجراري للرحالة في التسهيل عليه مهمة البحث عن المخطوطات ، وكذلك بإطلاعه على معالم المدن المغربية " وإقتضائي البحث الإطلاع على ما في المكتبة الملكية من مخطوطات حول موضوعي ، فخاطبت صديقي الجراري في ذلك فرافقني إلى هذه المكتبة ... وفي إحدى الجولات عرج بي صديقي الجراري بسيارته على الاحياء الهامة من مدينة الرباط ... وكان أثناء ذلك يصف لي معالم المدينة ويحدثني عن خصائص كل حي " [2]

2-4- الشخصيات الثانوية :

ومن الشخصيات المساعد للرحالة ، والتي برزت بأدوار ثانوية في مسار الرحلة وحظيت بإهتمام المؤلف ، شخصية محمد المتوني ، لسعة علمه وخبرته بالمخطوطات ، فأراد الرحالة التعرف عليه للإستفادة منه في بحثه ، حيث يقول : " لم أتعرف على الأستاذ المتوني إلا في اليوم الأخير لي في الخزانة العامة حيث جاء إليها في زيارة خاطفة ، وقد أخبرني أنه أصدر حديثا كتابه (يقضة المغرب الحديث) ... ولو طالت مذاكرتي للأستاذ المتوني لإستفدت منه معلومات قيمة فيما جئت من أجله " [3]

ونضم إلى قائمة الشخصيات المساعدة لسعد الله ، شخصيات عدة ، لقي الرحالة الترحيب منها ، وقدمت له يد المساعدة في بحثه ، أثناء تواجده بالمكتبة للإطلاع على فهارسها ، والبحث عن مخطوطاتها ، فبرزت هذه الشخصيات بوظائفها المتعددة ، وهي كل من الأستاذ داود ، منير العلوي نائب المدير ، والأستاذ محمد الروائي ، أحد المحققين والعاملين بالمكتبة ، ويوضح الرحالة المساعدة التي لقيها منهم في قوله : " ولقد رحبوا بي أحر ترحيب ، وفتحوا لي أبواب المكتبة ، وأمروا العمال بوضع جميع الفهارس تحت

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، ص 218 .

2 المصدر نفسه ، ص 219 .

3 المصدر نفسه ، ص 213.

تصرفي بما في ذلك فهرست المكتبة الزيدانية ، ودار الحديث بيننا عن المكتبة وتنظيمها الجديد ، وعن الحركة الفكرية في الجزائر وعن الصلات الثقافية بين البلدين " . [1]

أما حين يرد ذكر بعض الشخصيات النسائية كالآنسة " نادية داودي " وحرم الأستاذ الجراري التي أعدت الطعام لأصدقاء زوجها يذكر " ... كانت جلسة ممتعة تناولنا الطعام الشهي الذي تفننت في إعداده حرم الدكتور الجراري ، وأبرزت فيه محاسن الطبق المغربي". [2]

والملاحظ أن حظور هذه الشخصيات لم يرد ضمن مقاصد السرد الأساسية التي حددها السارد من قبل ، مما يعني أنها شخصيات ثانوية ، لم يكن لها أي دور في مجرى أحداث الرحلة .

أما في الملامح الجسمية فلا نجد منها إلا بعض الصفات القليلة التي ذكرها الكاتب فهو لم يعتن بخلقتهم بقدر ما إعتنى بأخلاقهم، وطبائعهم ومستوياتهم الثقافية و الإجتماعية .

ومثلما تنوعت وظائف الشخصيات المساعدة ، تنوعت كذلك وظائفهم الإجتماعية فوجدنا الباحثين و الأساتذة المحققين ، والعاملين بالمكتبات ، والعامة والبسطاء كل يؤدي دورا معينا في نسج الرحلة ، ويؤثر قليلا أو كثيرا في مجرى الأحداث ، مما يجعل الرحلة، صورة صادقة للحياة الروحية والعقلية والإجتماعية و الأدبية في هذا العصر .

1 أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، ص 220 .

2 المصدر نفسه ، ص 211.

خَاتِمَـــة

خاتمة :

يجمل بنا الآن، بعد أن قطعنا أشواطا من العمل أن نرجع إلى الخلف، وننظر في ما إستطعنا تحقيقه من نتائج، دون إدّعاء الوصول إلى الغاية أو إستفراغ الموضوع، لأن أدب الرحلات واسع، والمشاركين فيه عددهم كبير، والأنواع التي أنتجوها متغايرة، يصعب على الباحث الفرد الإلمام بها جميعها، بل يستدعي كل نوع منها بحوثا، ودراسات متكاملة، لتحقيق المراد ،كما يعد أدب الرحلات من الدراسات التي أَلِف الدارسون إطلاقها على كثير من كتابات الرحالين العرب والمسلمين والتي يصفون فيها البلدان والسكان ويضمنونها كثيرا من الأحداث التي شاهدوها أو شاركوا فيها برا أوبحرا، وسجلوا ملاحظاتهم حولها، حيث إمتزجت المرئيات المحسوسة بالإنطباعات الشخصية الوجدانية والوصف الذاتي لمعاناة الطريق، بأحوال الناس في مدنهم وقراهم، وهذا ما يمثل أدب الرحلات.

وإذا كانت المباحث، التي إعتمدت وسيلة التعريف بخصائص الرحلة الجزائرية نحو المشرق متنوعة، فإن الهدف الأول من بحثنا كان البحث عن أبرز الأعمال الأدبية، الممثلة لهذا الفن والإتجاه في الجزائر، لذلك حاولنا إستكشاف مميزات الرحلات الجزائرية، من خلال دراسة رحلتي أبو القاسم سعد الله، من حيث هي نصوص أدبية، رغم مالها من صلة بضروب المعرفة المختلفة، وما تقدمه من أخبار وفوائد ومعارف تاريخية، وجغرافية وإجتماعية، وسياسية...، معتمدة في ذلك لغة ذات خصوصية أدبية، وأسلوب فردي وثيق الصلة بالكاتب الرحالة (أبي القاسم سعد الله)، وعليه توصلنا إلى جملة من النتائج هي :

أولا : الهوية النصية للرحلة قائمة على بنية السفر الشامل للذهاب والإياب المرتبطين بذات فاعلة قامت بالسفر، وكتبت مراحله في نص مكتمل يتوجه إلى القارئ بخطاب يحمل سمة رحلة، يمتزج فيه سرد حكاية السفر أو الرحلة ووصف الأشياء والناس، وما

يستدعيه ذلك من تحفيز الذاكرة لإسترجاع الوقائع والأحداث على مدى زمني تحدده البداية (المنطلق) والنهاية (الوصول).

ثانيا : المكان أو الفضاء وما فيهما من الإختلاف والترادف مما يُحمل صعوبة التحديد بينهما فهو العتبة التي يلج منها السارد إلى فضاء السرد بالحديث فيما تفاعل فيه من وقائع تمتد حسب إمتداد الوعي الإنساني لمحيطه، والإنتقال عنه هو الذي يغلق السرد إلى حين، فالمكان هو المرتحل إليه وفيه.

ثالثا : الزمن هو المحدد للإرتحال ويختلف إدراكه من رحال إلى آخر، فمنهم من يستولي عليه حتى تقترب الرحلة من المذكرات، ومنهم من تخف وطأته عليه حتى تبدو المعالم الزمنية باهتة وهناك زمن الكتابة الذي يصعب الجزم به إن لم يُصرح به الرحالة الكاتب، وإنما يعتمد فيه على التخمين والإستنباط.

رابعا : الرحلات تكشف شخصيات الرحالين وتمثل وعي عصرها والشاهد على ما فيه من أحداث، كما تكشف ميول الشخصيات، وذلك ما نلاحظه في رحلات أبي القاسم سعد الله كميوله وحبه للإرتحال والسفر والإستكشاف.

خامسا : نلاحظ إمتزاج السرد والوصف وكأنهما يتبادلان الأدوار في مواطن كثيرة، أما الأسلوب المباشر فقليل إلا فيما ينقل من أقوال مروِية أو مكتوبة، لكون الحوار بين الشخصيات نادر وهذا ما لانجده في الرحلات التي درسناها في بحثنا.

سادسا : يتوفر أدب الرحلة على بنى سردية متمثلة في الشخصية والزمن والمكان، وهي من المكونات الأساسية في أدب الرحلة، كما أنه نص حكائي يخضع لحبكة معينة، وبهذا يتقاطع مع فن الرواية ويتشاكل معها في هذه العناصر، إلا أنه يختلف مع الرواية بحيث يُخضع أحداثه للواقع فيستند إلى شخصيات حقيقية وأمكنة واقعية.

سابعا : سارد الرحلات راوٍ داخلي يشارك من داخل العمل السردي وكل ما يقدم يمر عليه ويقدمها من خلال رؤاه وبذلك يسيطر المؤلف على النص سيطرة تامة، وحتى حينَ يتحول إلى مسرود له لا يتخلى عن الوظيفة السردية، ومجمل إستراتيجياته تعمل على

إيصال المعرفة والمتعة الفنية للقارئ، وربما كان جمال ومذاق الرحلة يكمن فيها يُروى مباشرة عن طريق المشاهدة البصرية للواقع والأحداث، بالإضافة إلى ما يدلي به السارد من ترشيد وتحليل للواقع.

ثامنا : صاغ أبو القاسم سعد الله رحلتيه صياغة محكمة، وظف فيهما الوصف الدقيق، وحمَّل نصيَه بمعالم كثيرة ومهمة، مستخدما في ذلك أسلوبا فنيا يشوق القارئ لزيارة المغرب والسعودية، كما نجد صيغة الماضي في سرده للرحلتين، ونجد إعتماد الكاتب أسلوب التدرج في الأحداث وذلك من خلال ترتيبه للأحداث زمنيا.

تاسعا : أتاحت لنا رحلتا أبو القاسم سعد الله التعرف على أماكن كثيرة في المغرب وفي السعودية، وكذلك عرفتنا على شخصيات أدبية وعلمية مهمة كان قد ذكرها في رحلتيه، ولعل أهم تلك الأماكن "المكتبة الوطنية" بالمغرب، التي عرفَنا على ما تحمله من كتب ومخطوطات قيمة، ومكتبة جامعة الرياض وذكر لنا ما فيها من مميزات وخدمات تشجع القارئ وتحفزه على القراءة والمطالعة.

عاشرًا : طبيعة شخصيات الرحلة متميزة، فهي تتسم غالبا بالواقعية، ووجودها مرجعي في الزمن، كما أنه لايمكن للكتاب أو المؤلفين التصرف فيها.

إن هذه النتائج وغيرها، ستبقى بمثابة معلومات راسخة في ذهني لتطوير معرفتي بهذا الموضوع أو موضوعات أخرى مرت لها علاقة بالبحث.

وآمل أن يثمن هذا البحث المتواضع ضمن الجهود التي يبتغي تفعيل وإعطاء نفس جديد للحياة كما يمكننا القول أن هذه المحاولة المتواضعة، في دراسة أدب الرحلة هذا اللون الأدبي، ويبقى بعضها في حاجة إلى تعميق وتحليل أكبر، وإلى تكثيف البحوث، وتعاضدها لبناء مفهوم متكامل لفن الرحلة، يجمع بين المعطيات النظرية، وصورها من خلال النصوص التطبيقية.

الملاحق

1- ملخص الرحلة : "رحلتي إلى الجزيرة العربية"

تناول أبو القاسم سعد الله في كتابه في تجارب في الأدب والرحلة مجموعة من الرحلات من بينها رحلتها إلى الجزيرة العربية والتي جرت أحداثها كالتالي :

أن أبو القاسم سعد الله تلقى دعوة من جامعة الرياض للمشاركة في الندوة التي تنظمها عن مصادر تاريخ الجزيرة العربية إذ كانت زيارته للجزيرة العربية حلم يراوده منذ الطفولة، فتكلم عن إستعداده المادي والروحي لهذه الزيارة وقد كان عنوان بحثه الذي يشارك به معنون بالرحلات الجزائرية الحجازية خلال العهد العثماني، وقد غطت زيارته لعاصمة المملكة والمملكتين الشريفتين : مكة والمدينة وما وقع له فيها، فسجل كل الإنطباعت والمشاركات.

بدأ تسجيلاته من مطار الجزائر ذهابا إلى مطار جدة عائدا، فكان سفري يوم 21 أفريل 1977م، وتكلم عن الصعوبات التي واجهته في المطار مع الجمركي، ثم تكلم عن المحطات التي مر بها وعن الشخصيات التي إلتقى بهم، وكان الافتتاح الرسمي يوم الجمعة في قاعة المحاضرات بجامعة الرياض، كما تكلم عن الافتتاح الرسمي لها والمشاركين في هذه الندوة وعن الأبحاث التي تعددت وتنوعت مشاربها وما جذب انتباهه الدقة والتنظيم للجان ومنسقي هذه الندوات والحفلات التي أقيمت على شرفهم، كما خص بالذكر الأماكن التي زارها هو وبقية المشاركين منها : الدرعية، ومعرض الفاو، والمتحف الوطني للرياض، كما زار بعض المكتبات بهدف توسيع ثقافته، وتحدث عن زيارته للمدينة مع وفد اليمن والمغرب وتونس والأردن، وأستاذ من إيران، وعن ما رآه فيها حيث مكثوا ثلاثة أيام، ثم أخبرنا عن أدائه للعمرة، وعما رآه من أناس يحرفون مناسك أداء العمرة، فقد بقي في مكة خمسة أيام، يومين ضيفا على الندوة وثلاثة أيام عند أخيه البشير سعد الله، وبعد ذلك ذكر جولاته في مكة وما رآه من عدد كبير من العمال والمهاجرين والتجار، ثم وصف لنا سهولة الحياة وبساطتها عند أغلب الناس، كما وصف لنا النهضة العمرانية والتطور الذي شهدته الرياض، ومكة والمدينة، وفي اليوم الخامس من مايو

1977م كان المقصد مطار جدة والعودة إلى الوطن حاملا معه الإحراج الذي واجهه مع شرطي الجوازات حول تعريب جوازي، وقد ختم رحلته بمقولة الخليفة العظيم عمر بن الخطاب : يا أهل المغرب مغربكم.

2- ملخص رحلة : "رحلتي إلى المغرب"

جرت أحداث هذه الرحلة في المغرب والتي ذكرها مؤلفها أبو القاسم سعد الله في كتابه تجارب في الأدب والرحلة، فكانت أحداثها كالآتي :

ذكر أبو القاسم سعد الله، أنه ذهب إلى المغرب الصيف الماضي تعقبا لآثار من سبقوه أمثال إبن حمادوش، وعمار الورتلاني، كما ذكر أنه سجل أسماء المخطوطات التي تهم الباحثين وإطلع على المخطوطات الجزائرية، كما ذكر أنه تعرف على العديد من رجال المغرب شبانا وشيبا، فكان سفره لأول مرة إلى المغرب من 29 يوليو إلى 29 أغسطس 1973م، كما ذكر أن الرحلة إستغرقت ساعة وربعا، وبعد تنقلاته ووصوله إلى الرباط الذي أعجبه جوها شرع في التجوال في شوارعها فذكر منها شارع محمد الخامس، وجامع السنة، كما ذكر أنه توجه إلى الخزانة العامة (المكتبة الوطنية) بحثا عن المخطوطات، كما ذهب إلى قسم الوثائق (المخطوطات) المتواجد بكلية الآداب لجامعة محمد الخامس الذي قضى فيها معظم وقته كما وجد فيها كل التسهيلات ومن ذلك بدأ يطلب المخطوطات الجزائرية ويستفيد منها، كما أنه وضح أنه حاول غستغلال كل وقته للبحث الذي جاء من أجله، كما ذكر أنه إلتقى ببعض المغاربيين والجزائريين، كالأستاذ محمد إبراهيم الكتاني الذي أهداه أعماله الأخيرة، ومن الجزائريين الذين لقيهم الآنسة نادية داودي، فكان معظم وقته لقاءات مع أساتذة وبقاءه في المكتبات، فذكر أنه إعتاد على التجوال في المدينة مساءا بعد عناء النهار لراحة عينيه، وخلال تجواله توجه إلى مكتبة الطالب لعبد القادر المكناسي، وذكر لقائه بالعديد من الشخصيات منهم عبد الكريم كريم الذي لم يبخل عليه بوقته وامكانياته، وكذلك عباس الجراري الذي ذكر لقاءه معه من قبل في دمشق وفي الجزائر، ولقيه في المغرب فسهل عليه كثيرا من الأمور، كما ذكر لما

ساعده على البحث والاطلاع في المكتبة الملكية للمخطوطات التي تخص موضوعه، كما ذكر يوم 13 أوت 1973م الذي كان مليئا بالتجارب لمروره مع صديقه الجراري بسيارته على القصر الملكي، ثم ذكر جولاته في الدار البيضاء ومدى إعجابه بشوارعها ومكاتبها، وما أعجب به إلى جانب شيوخ العلم ومحافظي المكتبات الطموح المتواجد في أبنائها، كما ذكر جولاته وإطلاعاته مع الأخ شحلان، كما ذكر الرحالة عدة من المخطوطات التي لفتت إنتباهه كتاب (فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب) لإبراهيم بن أبي عبد الله النميري، وأيضا مخطوط ضخم بعنوان (تحبير السياسة في تدبير الرياسة)، لمحمد بن علي بن الأزرق وغيرها من المخطوطات التي إستفاد منها الرحالة، فذكر في الأخير أنه لو ذكر كل الكتب والمخطوطات التي وقعت عليها عينة لاتقل على القارئ وختم رحلته بتاريخ كتب على النحو التالي : الجزائر، 14 نوفمبر، 1973م.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

*** القرآن الكريم.**

أ- المصادر :

1. أبو القاسم سعد الله : تجارب في الأدب والرحلة، دط،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

ب - المراجع

1. أحمد بن عمار، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، دط، مطبعة فونتانه، الجزائر، 1320هـ-1920م.

2. أحمد محمد الغزالي، احياء علوم الدين، ط1، دار بن حزم، 1426هـ 2005م.

3. أزهري ، تهذيب اللغة ، تح علي حسن هلالي ، دط ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، دت.

4. أكرم اليوسف، الفضاء المسرحي، دراسة سيميائية،دط،دار المشرق، مغرب، دمشق، 2000.

5. آمنة بلعلى، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

6. بشير عبد العالي ، تحليل الخطاب السردي والشعري ، دط ، دار الغرب ، الجزائر ، 2002 .

7. جلال الدين المحلي ، جلال الدين السيوطي ، تفسير الجلالين ، ط3 ، دار الخير دار القرآن الكريم للطباعة والنشر، دمشق ، سوريا ، 2003 ، ص 306. .

8. حسن على المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق سعيد محمد اللخام، دط، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.

9. حسن يحراوي ، بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصيات ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1990 .

10. حسين محمد فهيم : أدب الرحلات، دط، سلسلة عالم المعرفة، رقم 138، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989.

11. حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983/1403.

12. حسين نصار، أدب الرحلة، ط1، مكتبة لبنان الحديثة، القاهرة، 1991.

13. رحمان بن خلدون، المقدمة، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004.

14. شعيب حليفي ، الرحلة في الادب العربي ، ط1 ، رؤية النشر والتوزيع ، القاهرة ، 2006. أ . أ . مندلاو ، الزمن والرواية ، تر : بكر عباس ، مراجعة احسان عباس ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1997.

15. شلوميت ريمون كنعان ، الشعرية المعاصرة في التخييل القصصي ، تر : لحسن أسامة ، ط1 ، دارالثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، 1992 .

16. شوقي ضيف، الرحلات، ط4 ،دار المعارف، 1119 كورنيش النيل ا،لقاهرة، ج.م.ع، دت.

17. صمد زايد ، مفهوم الزمن ودلالاته ، دط ، دار العربية للكتاب ،تونس، 1988 .

18. طيب المهاجي : أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما أنفق لي في الماضي والحاضر ،دط، الشركة الجزائرية والأدوات للطبع والأوراق ،دت.

19. عربي الذهبي، شعريات المتخيل، اقتراب ظاهرتي، دط، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2000.

20. عمار المهاجي : الاعلام بمن حل بوهران من الأعلام، ط1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

21. عمر بن قينة : الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، دط، دراسة من منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1999.

22. عمر بن قينة : الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة، ط1، دار الأمة، الجزائر،1995م.

23. عمر بن قينة: إتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

24. غاستون باشلار ، جماليات المكان ، تر غالب هلسا ، ط2 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، 1404 – 1984 م .

25. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، مدينة نصر يوليو 2002.

26. فيليب هامون ، سيميولوجية الشخصيات الروائية ، تر : سعيد بنكَراد ، دط ، دار الكلام ، 1990 .

27. قادر الشاوي ، الكتابة والوجود ، السيرة الذاتية في المغرب ، دط ، إفريقيا الشرق ، المغرب / لبنان ، 1999.

28. قاسم سعد الله، أفكار جامحة، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

29. قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الراتب للكتاب، الجزائر، 2007.

30. قاسم سعد الله، سعفة خضراء، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

31. كمال رشيد ، الزمن النحوي في اللغة العربية ، دط ، دار عالم الثقافة ، عمان ، 2008.

32. مجموعة من الباحثين، جماليات المكان، دط، قرطبة، عيون المقالات، الدار البيضاء، د ت.

33. محمد البشير الإبراهيمي : آثار محمد البشير الإبراهيمي،دط،ج4،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

34. محمد الصالح سليمان، الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث 1999 دراسة، دط، اتحاد الكتاب العرب، 2000.

35. محمد بن عبد الوهاب الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، دط، منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو، سنة 1940.

36. محمد بن عثمان المكناسي : الاكسير في فكاك الأسير، تح : محمد علي الفاسي، دط، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965.

37. محمد بوزواوي، موسوعة شعراء العرب، دط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

38. محمد بوعزة ، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم) ، ط1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2010 .

39. محمد توفيق الضوى ، مفهوم المكان والزمان في فلسفة الظاهر والحقيقة ، دط ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، دت.

40. محمد جبريل، مصدر المكان، دط، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2000.

41. محمد علي عبد المعطي ، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها ، ط2 ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، 1984 .

42. محمدالطمار ، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، دط ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1983.

43. مصطفى مويقن، بنية المتخيل في نص ألف ليلة، ط1، دار الحور للنشر والتوزيع، سوريا، 2005،.

44. ملك مرتاض ، نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، دط ، عالم المعرفة ، الجزائر، 1998 .

45. ملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن 20، دط، دار هومة، الجزائر، 2007.

46. مها حسن القصراوي ، الزمن في الرواية العربية ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2004 .

47. نازك سبايايارد، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، ط2، نوقل، 1992.

48. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الادب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، ط1، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، 1995/1415.

49. نور ثروب فراي، الخيال الدبي، ترجمة حنا عبود، دط، وزارة الثقافة (دراسات نقدية عالمية، 27، دمشق، 1995.

50. هانز ميرهوف ، الزمن في الأدب ، تر : أسعد زروق ، د ط ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة / نيويورك، 1972.

51. وائل بركات ، مفهومات في بنية النص ، ط1 ، دار مصر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، 1996 .

جـ- الرسائل و الأطروحات:

1. إسماعيل زردومي ، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم (أطروحة دكتوراه دولة) ، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة باتنة ، إشراف عبد الله العشي ، 2004 /2005

2. سميرة انساعد ، الرحلة الى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور و البنية ، رسالة دكتواه ، جامعة الجزائر ، اشراف الشريف مريبعي ، 2006-2007 .

3. عمر بن قينة : أدب الرحلة في النثر الجزائري الحديث، رسالة دكتوراء دولة، معهد الأدب العربي، جامعة الجزائر، 1992.

4. قرطي خليفة، المدينة في الرواية الجزائرية العربية، من 1973-1992، رسالة ماجيستر، اشراف عبد القادر هني، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1995.

د- المعاجم والقواميس :

1. إبرهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، المعجم الوسيط ، ج 1 ، مطبعة مصر ، 1960 ،

2. أحمد بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، م3 ، دط، دار الجيل ، بيروت ،1991 .

3. جمال الدين محمد غبن مكرم منظور ، لسان العرب .

4. حسن أحمد ابن فارس الرازي، مقاييس اللغة ،تحقيق عبد السلام بن هارون، دط، دار الجيل، م3، بيروت، د ت.

5. رازي ، مختار الصحاح ، تح مصطفى ديب البغا ، ط4 ، دار الهدى للطباعة والنشر ، عين مليلة ، الجزائر ، 1990.

6. زبيدي ، تاج العروس ، تح علي بشيري ، دط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، مج 18 ، 1994.

7. زمخشري ، أساس البلاغة ، تح باسل عيون السود ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، ج2 ، بيروت لبنان ، 1998.

8. فيروز آبادي محمد الدين بن محمد بن يعقوب، المحيط، ط3، دار الجيل، ج3، بيروت، د ت.

9. قاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2007.

هـ – المقالات والمجلات :

1. سليم بتقة ، " تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي " ، مجلة المخبر، العدد السادس ، جامعة محمد خيضر– بسكرة – الجزائر ، 2010.
2. رابح الأطرش ، " مفهوم الزمن في الفكر و الأدب " ، مجلة العلوم الإنسانية ، ع6، جامعة فرحات عباس بسطيف مارس 2006.
3. بوراس سليمان، "بنية اللغة السردية في ادب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله – الأشكال والدلالات"، فضاء المتخيل في الرحلات الجزائرية في العصر الحديث (2014، جامعة المسيلة، الجزائر، 15–11 ديسمبر 2013.
4. فاضل إسماعيل خليل ، " الرحلة في طلب الحديث " ، مجلة آداب البصرة ، العدد 38 ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، 2005.
5. زوزو نصيرة، اشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مقال، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات، قسم أدب عربي،بسكرة، جانفي، 2010

كتب مترجمة:

1. Larousse : le dictionnaire de français omega international sarl ..voyager"spéciale algérie, 2001.

فهرس

فهرس الموضوعات

الفهرس

شكر وعرفان	
مقدمة	أ
الفصل الأول : مفاهيم ومصطلحات	
1 – مفهوم الفضاء	06
أ – لغة	06
ب – اصطلاحا	07
ج – أنواعها	07
1 – فضاءات مفتوحة	07
1 – 1 – فضاءات العادة واللقاء والمعاملات	07
1 – 2 – فضاءات جماعية (الوظائف الحيوية)	08
1 – 3 – فضاءات نفعية طبيعية	08
2 – فضاءات مغلقة	08
2 – 1 – فضاءات للعبادة	09
2 – 2 – فضاءات زيارية	09
2 – مفهوم المتخيل	09
أ – لغة	09
ب – اصطلاحا	10
1 – دلالة المتخيل في الثقافة الإسلامية	10
2 – دلالة المتخيل عند البلاغيين العرب	11
3 – دلالة المتخيل عند الفكر الغربي	12
4 – دلالة المتخيل عند الصوفية	12
3 – مفهوم الرحلة	14
أ – لغة	14
ب – اصطلاحا	16
ج – دواعي الرحلة وأنواعها	17
1 – دواعي الرحلة	17
1 – 1 – الدوافع الغير مباشرة	17
1 – 2 – الدوافع المباشرة (ذاتية)	18
1 –2 – 1 – الباعث الروحي	18

فهرس الموضوعات

1 – 2 – 2 – الباعث العلني	18
1 – 2 – 3 – الباعث السياسي	19
د – أنواع الرحلات	19
1 – الرحلات الفعلية	20
1 – 1 الرحلة العلمية	20
1 – 2 – الرحلة الدينية	20
1 – 3 –الرحلة الإقتصادية	20
1 – 4 – الرحلة الاستطلاعية (المغامراتية)	21
1 – 5 – الرحلة الرسمية	21
1 – 6 – الرحلة الفهرسية	21
2 – رحلات خيالية	22
4 – مفهوم أدب الرحلة	22
5 – أدب الرحلة الجزائري قديما	24
6 – أدب الرحلة الجزائري في العصر الحديث	26
7 – الرحالة الجزائريون ورحلاتهم	28
8 – نبذة عن أبو القاسم سعد الله	37
الفصل الثاني : بنية المكان في أدب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله	
1– مفهوم المكان	44
أ – لغة	44
ب – اصطلاحا	46
2– مكان الرحلة	50
2–1–المنطلق	50
2–2 –المكان المعبر	51
2–3 المكان المقصد	52
3– المكان التاريخي	55
الفصل الثالث :بنية الزمن والشخصية في أدب الرحلة عند أبي القاسم سعد الله	
1–بنية الزمن	58
1–1–مفهوم الزمن	58
أ – لغة	58
ب – اصطلاحا	59

فهرس الموضوعات

1-2-زمن الرحلة	61
1-2-1-زمن الانطلاق	62
1-2-2-زمن المسير	63
1-2-3-زمن الوصول	67
1-3-زمن التأليف	68
1-3-1-الافتتاحية	68
1-3-2-العرض	70
1-3-3-الخاتمة	71
2-بنية الشخصية	72
2-1-مفهوم الشخصية	72
أ – لغة	72
ب – اصطلاحا	73
2-2-شخصية الذات الفاعلة للرحلة	74
2-3-الشخصيات المساعدة للرحالة	78
2-4-الشخصيات الثانوية	80
خاتمة	83
ملحق	87
قائمة المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	

ملخص البحث بالعربية :

الملخص:

إن هذه الدراسة الموسومة بفضاء المتخيل في الرحلة الجزائرية الحديثة أبو القاسم سعد الله أنموذجا ، تعالج موضوعا ذا أهمية بالغة ، نظرا لكونه يتعلق بجنس أدبي متميز ألا وهو أدب الرحلة ، وقد اخترت رحلتين جزائريتين حديثتين لأبي القاسم سعد الله ، والتي تعد من أخصب الرحلات الجزائرية في العصر الحديث ، فهي تحفل باهتمام الباحثين والنقاد ولم تحظ بدراسات كثيرة .

وتهدف هذه الدراسة أن تكون مقاربة موضوعية للرحلات المدروسة ، حتى تكشف عن موقع الرحلة ضمن الأجناس الأدبية وتبرز الأسلوب الأدبي لصاحبها ، لذا استهللتها بفصل أول يتضمن أهم التعاريف و المفاهيم .

وجاء الفصل الثاني مثاوله بنية المكان في أدب الرحلة عن أبي القاسم سعد الله ، أما الفصل الثالث فقد خصصت فيه الحديث عن بنية الشخصية وبنية الزمن في الرحلة .

وفي الأخير توجت بحثي بخاتمة عرضت فيها ما توصلت إليه من نتائج خلال دراستي.

ملخص البحث بالفرنسية :

résumé

Cette étude marquée par l'espace de l'imaginaire, un modèle dans le voyage algérien moderne **d'Abou El Kacem Saad Allah**. Elle traite un sujet d'une grande importance étant donné qu'il s'agisse d'un genre littéraire particulier qu'est la littérature du voyage. Alors J'ai choisi deux voyages algériens modernes de Abi El Kacem Saad Allah qui sont considérés parmi les voyages algériens modernes les plus fertiles, ce sont le centre d'intérêt des chercheurs et des critiques et n'ont pas fait l'objet de beaucoup d'études.

Cette étude vise une approche objective des voyages étudiés jusqu'à révéler le site du voyage parmi les genres littéraires et faire ressortir le style littéraire de son auteur, c'est pourquoi je l'ai débuté d'un premier chapitre comportant les définitions et les concepts les plus importants.

Puis vient le deuxième chapitre abordant structure du lieu dans la littérature du voyage de Abi El Kacem Saad Allah, par contre, j'ai consacré le troisième chapitre à la structure personnelle et à la structure temporelle du voyage.

Enfin, j'ai couronné mon étude d'une conclusion dans laquelle j'ai exposé les résultats auxquels je suis arrivés au cours de mon étude.